الفصل الثانى
الجـــزر

الجزر النيلية بحدود مدينة القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى :

الجـــزر [١] النيلية التى بنيل القاهرة أربع جزر هى جزيرة الذهب وجزيرة الروضة وجزيرة الزمالك وجزيرة الوراق . وكانت هذه الجزر من أجمل وأحسن المتنزهات فى مصر الإسلامية وخصوصا جزيرة الروضة التى كانت عروس المتنزهات على مر التاريخ .

ويرجع تكوين الجزر النيلية إلى عاملين رئيسيين هما النحت والأرساب اللذين يعرفان باسم الأكل والطرح ، وتعنى ظاهرة طرح النهر ظهور مساحات من الأراضى الجديدة التى تكونت نتيجة ترسب وتراكم الطمى وغرين النهر عاما بعد عام فى أماكن يضعف فيها قوة تيار النهر ، وهى تعرف باسم السواحل إذا كانت على شاطئ النهر أما التى تتكون فى وسط النهر فتسمى الجزر [٢] .

أولا جزيرة الذهب :

توصلت إلى أصل جزيرة الذهب برجوعى إلى كتاب وقف السلطان الغورى الجامع لأوقافه [٣] ، فقد تبين لى أنه كان يوجد حتى سلطنة الغورى (أى حتى نهاية دولة المماليك وبداية الدولة العثمانية بمصر) ، كان يوجد جزيرتان طوليتان متوازيتان بينهما سيالة ماء تعرف الأولى باسم جزيرة الصابونى والأخرى باسم جزيرة الذهب ، وكانتا تقعان جنوبى جزيرة

---

(١) الجزيرة كما ذكرت فى قواميس اللغة «هى كل بقعة فى وسط البحر لا يعلوها البحر ، وسميت بذلك لأنها جزرت أى قطعت عن تخوم الأرض فصارت منقطعة ، والجزيرة أيضا هى أرض ينحدر عنها الماء ويقال جزر الماء أن نضب وجف ، والجزر هو رجوع الماء إلى الخلف ، والجزيرة هى واحدة جزائر البحر سميت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض ، والجزيرة هى اسم لعدة أماكن منها محلة بالفسطاط إذا زاد الماء وطاف بها فاستقلت بنفسها» . انظر : مختار الصحاح للرازى ، القاموس المحيط للفيروزابادى ، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية . السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ٣٧٧ ، كوكب الروضة ، ورقة ١١ .

(٢) محمد رمزى ، شاطئا النيل تجاه مصر القديمة والقاهرة ، ص ٤٩٨ ، سعاد هاشم محمد جمال الدين ، الجزر النيلية ، دكتوراة «مخطوط» (كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٩م) ، المقدمة ص ب .

(٣) كتاب وقف السلطان الغورى الجامع لأوقافه رقم ٨٨٢ المحفوظ بوزارة الأوقاف .

الروضة فى وسط النيل بين ساحل النيل الشرقى الذى كان به ناحية أثر النبى التى بها رباط الآثار الذى ما زال فى موقعه جامع أثر النبى (أثر رقم ٣٢٠) وبين شاطىء النيل الغربى تجاه الجيزة، وكانت جزيرة الصابونى تقع شرق جزيرة الذهب، ثم اندمجت الجزيرتان فيما بعد وأصبحتا جزيرة واحدة تعرف الآن باسم جزيرة الذهب [١] (شكل ١٧).

وقد حدث مثل ذلك من قبل بشأن جزيرة الزمالك التى نتجت عن اندماج جزيرتى أروى وحليمة.

وجزيرة الذهب المندمجة بجزيرة الصابونى لا تزال تمثل موقعها القديم وإن اختلفت مساحتها مع الزمن، وهى طولية الشكل وتبلغ مساحتها ٣٤٢ فدان وهى تتبع مركز الجيزة من الناحية الإدارية [٢].

أما عن تاريخ جزيرة الذهب قبل اندماجها نرى أن «ياقوت الحموى» قد ذكرها بقوله أنه يوجد بمصر موضعان يحملان اسم جزيرة الذهب الأول بكورة فوه والثانى بكورة الجيزية [٣]، كما ذكرها أيضا «الفيروزابادى» [١] وذكرها أيضا «ابن مماتى» وقال أنها تتبع الأعمال الجيزية[٢]، وقد عرفت جزيرة الذهب فى وثائق ومصادر العصر المملوكى باسم جزيرة الطائر وأنها كانت جارية فى وقف الأمير عمر بن بهادر [٣].

---

(١) توصلت لهذا الاستنتاج بما ورد فى كتاب الوقف السابق صفحات ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧ حيث جاء به عن أوقاف الغورى «. . . وجميع الحصة السابقة فيما يذكر فيه وقدر هذه الحصة ثلاثة أسهم كوامل وتسع سهم من أصل أربعة وعشرين سهمًا شائعًا ذلك فى جميع الجزيرتين المتجاورتين وهما جزيرة الطائر المعروفة بجزيرة (ص ١٤٥) الذهب وجزيرة الطمية المعروفة بجزيرة الصابونى من أعمال الجيزية بالقرب من روضة مصر وجامع المقياس، ولكامل أراضى جزيرة الذهب حدود أربعة يعم جميعها ماء النيل المبارك فى زمن زيادته الحد الأولى وهو القبلى ينتهى إلى بحر النيل المبارك فى أراضى الناحية المعروفة بدموه الجيزة وحديثا والحد البحرى ينتهى إلى المقياس الذى بطرف روضة مصر والحد الثالث من حدود هذه الجزيرة وهو الشرقى ينتهى إلى بحر لطيف ينجز عنه الماء أحيانا فاصل بين هذه الجزيرة وبين الجزيرة المعروفة بالصابونى الآتى ذكرها فيه والحد الرابع وهو الغربى ينتهى بعضه إلى البحر الأعظم المذكور اعلاه وأما بعضه الباقى وهو نهاية القطعة الأرضى التى فى البر الغربى من جملة حقوق هذه الجزيرة التى يفصل بينهما وبين هذه الجزيرة البحر الأصيل ينتهى إلى أراضى ناحية ترسة وساقية مكة والجيزة وفى كل هذه الحدود انحراف تشفير يسير ص ١٤٦ ولكامل جزيرة الصابونى المذكورة حدود أربعة أيضا فالحد الأول منها وهو القبلى ينتهى إلى البحر المذكور الذى كان ناحية دموه المذكورة والحد الثانى منها وهو البحرى ينتهى إلى مكان تجاه المقياس الشريف المذكور فيه والحد الثالث منها وهو الشرقى ينتهى إلى بحر لطيف تجاه الآثار الشريفة وجامع ابن اللبان وهذا البحر ينشف غالبا والحد الرابع منها وهو الغربى ينتهى إلى البحر اللطيف الذى ما بين حدها وحد جزيرة الذهب.

(٢) تقرير وزارة الأشغال.

(٣) المشترك وصفا والمفترق صقعا، طبعة جوتنجن، ألمانيا، ١٨٤٦م، ص ١٠٣.

أما عن تاريخ جزيرة الصابونى قبل اندماجها فقد كانت معروفة فى وثائق ومصادر العصر المملوكى باسم جزيرة الطمية [٤]، وقد قال عنها المقريزى : «هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار والرباط من جملتها، وقفها أبو الملوك نجم الدين أيوب بن شادى وقطعة من بركة الحبش فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده والنصف الآخر على صوفية بمكان بجوار قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه يعرف اليوم بالصابونى» [٥]. وقد ظلت جزيرة الصابونى عامرة بموقعها هذا الذى حدده المقريزى حتى وقتنا هذا [٦].

وكانت جزيرة الصابونى بيد الأمراء من الاسرة الأيوبية حتى أيام السلطان العزيز يوسف بن السلطان برسباى (تولى ٣ شهور بين سنتى ٨٤١، ٨٤٢هـ) حيث أنعم بها على الخليفة العباسى المعتضد بالله داود (٨١٦ ـ ٨٤٥هـ/ ١٤١٣ ـ ١٤٤١م) فى يوم الأحد ١٤ ذى الحجة سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م [٧] إلا أن السلطان الأشرف قايتباى قد أخرجها من أخيه الخليفة المستنجد بالله يوسف (٨٥٩ ـ ٨٨٤ هـ/ ١٤٥٤ ـ ١٤٧٩م) فى شهر ذى الحجة سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٧٦م واقطعها بعض مماليكه وعد ذلك من مساوئه [٨].

وفى وقت ما فى العصر العثمانى اندمجت جزيرة الذهب مع جزيرة الصابونى وعرفتا معا بجزيرة الذهب وظلت متنزها كبيرا والغالب عليها النشاط الزراعى حتى وقت قريب من زماننا هذا حيث بدأت أراضيها تتحول إلى مبان وعن قريب تصبح كلها مبان.

---

(١) القاموس المحيط، جـ١، ص ٣٨٩. (٢) قوانين الدواوين، ص ١٢٦.

(٣) ابن الجيعان (شرف الدين يحيى، ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، التحفة السنية بأسماء البلاط المصرية، (نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٤)، ص ١٣٧، ١٤٣.

(٤) كتاب وقف الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ١٤٦، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٦.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٥.

(٦) ذكر المرحوم الأستاذ محمد رمزى أن «جزيرة الصابونى كانت تقع بين دير الطين (دار السلام حاليا) وبين معادى الخبيرى (المعادى حاليا) وأنها اندثرت بفعل مياه النيل عليها، ثم ظهرت فى أيامه (أيام محمد رمزى) جزيرة جديدة عرفت باسم جزيرة دير الطين». انظر كتاب «محمد رمزى»، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية (قسمان فى ٤ أجزاء)، (ط دار الكتب، ١٩٥٣ ـ ١٩٦٣)، القسم الأول، ص ٧٧.

* ولكن هذا الموقع الذى حدده «محمد رمزى» بعيد عن موقع الجزيرة، فهى مواجهة لأثر النبى كما ذكر المقريزى وكما وردت فى كتاب وقف الغورى فى ص ١٤٧، انها «تقع بالقرب من روضة مصر وجامع المقياس وأن حدها الشرقى ينتهى إلى بحر لطيف تجاه الآثار الشريفة وجامع ابن اللبان وحدها الغربى ينتهى إلى البحر اللطيف الذى بينها وبين جزيرة الذهب».

* ومن ذلك يتبين أن موقع جزيرة الصابونى أمام ساحل مصر القديمة أمام رباط الآثار وأنها لم تختف وانما اندمجت مع جزيرة الذهب كما ذكرت آنفا وهى باقية فى مكانها للآن.

(٧) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص ٢٢٧، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١٩٢.

وقد كان للأمير مراد بك [١] الذى شارك إبراهيم بك حكم وملك مصر قبيل وأثناء الحملة الفرنسية على مصر بستانا وقصرا كبيرا بالجزيرة كان كثير التردد إليه هو واتباعه [٢].

وبالنظر إلى خريطة الحملة الفرنسية نجدهم قد وقعوا جزيرة الذهب تحت اسم جزيرة ترسا نسبة لقرية ترسا المواجهة بالجيزة، وكانت جزيرة الذهب مدمجة فى ذلك الوقت مع جزيرة الصابونى.

ثانيا: جزيرة الروضة

كانت جزيرة الروضة عروس المتنزهات على مر تاريخ مصر الإسلامى، تنزه بها الخلفاء والملوك والسلاطين ورعاياهم، بل استعملت كمقر للحكم فترة من الزمن، وكانت طيبة المسكن وموطنا لأفراح الناس واحتفالاتهم وأعيادهم، وجعلت مكان للاستشفاء، وقد بلغت شأنا عظيما فى القلوب حتى أن الأمام «السيوطى» قد أفتى فى شهر رجب ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م بأنه لا يجوز البناء على بر الروضة [٣] لأن الإجماع منعقد على منع البناء على شطوط الأنهار الجارية، وكى تظل جزيرة الروضة بصفة خاصة مسرة للناظرين وكعبة المتنزهين.

نشأتها وموقعها:

جزيرة الروضة هى أقدم الجزر النيلية بحدود القاهرة، كانت موجودة قبل الفتح الإسلامى لمصر بخلاف الجزر الأخرى التى تكونت فى ظل الإسلام [٤].

(١) مراد بك، كان أصله من مماليك محمد بك أبو الذهب الذى اشتراه سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م وذلك فى اليوم الذى قتل فيه صالح بك الكبير، فأقام فى الرق أياما قليلة واعتقه وأمره وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة وقدمه على أقرانه، وتزوج بالست فاطمة زوجة الأمير صالح بك وسكن داره العظيمة بخط الكبش، ولما مات على بك الكبير تزوج بسريته أيضا الست نفيسة، ولما مات أبو الذهب اختار المماليك مكانه إبراهيم بك لحكم مصر فشاركه مراد بك فى المناصب والمشورة فى الحكم، وكان مراد بك غير محمود السيرة أحدث كثيرا من المظالم حتى أنه كان من أعظم الأسباب فى خراب مصر كما يقول الجبرتى، وكان منصرفا إلى الصيد والتنزه والتنقل بين القصور والبساتين التى أقامها أو آلت إليه بالروضة وجزيرة الذهب وقصر قايماز بالعادلية وقصر الجيزة وغير ذلك، وقد كان قد قام بعمارة جامع عمرو سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م فى الصورة التى عليها الآن. وقد توفى مراد بك بسوهاج وهو قادم إلى مصر باستدعاء الفرنسيين له فدفن عند الشيخ العارف فى ٤ ذى الحجة ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م. انظر: الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٤٤٤ـ٤٤٥.

(٢) الجبرتى، نفس المصدر والجزء، ص ٤٤٦. (٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٨٣.

(٤) عن الوقت الذى تكونت فيه الجزيرة وأسباب تكوينها، انظر: Discription de L'Egypte, Vol. 18, P.467, Casanova (p)., Essai de Reconstitution Topographique de la Ville d'al Foustat ou Misr, MIFAO XXXV (1913) P. 25. جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٣٣٣ـ٣٣٤. Clerget (M)., Le Caire , I PP. 24 - 27

وهى تقع الآن فى القطاع الشرقى من مجرى النيل بين مصر القديمة ومدينة الجيزة وكانت تبدو فى بداية الحكم الإسلامى لمصر كأنها تتوسط نهر النيل أو كأنها للغرب أقرب حيث كان الفرع الشرقى للنيل كبيرا وانحسر بعد ذلك، وصارت الجزيرة فى العصر الفاطمى فى القطاع الشرقى للنيل وسيالة الروضة وصارت ضيقة جدا، وحافظت على ذلك الشكل حتى وقتنا الحاضر(١).

شكلها ومساحتها:

لم يحدث تغيير كبير فى شكل الجزيرة وأطارها الخارجى كما حدث فى جزر القاهرة الأخرى، ولكن كانت هناك تغييرات طفيفة وذلك لأن مياه النيل كانت تنحت من طرفها الجنوبى لترسب فى طرفها الشمالى وتنحت من طرفها الشرقى لترسب فى الجانب الغربى، كما كان هناك أجزاء من الجزيرة فى الجنوب والشرق تبلغ الربع تقريبا تطغى عليها المياه وقت الفيضان، وتنحسر عنها وقت التحاريق، وظلت على هذا النحو حتى امتدت إليها يد الإنسان واستطاعت أن تبنى الحواجز الحجرية على سواحلها للتحكم فى عدم طغيان النهر عليها (٢).

ويصف «الإدريسى» الجزيرة فى زمنه (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) بأن طرفها الأعلى ـ حيث المقياس ـ ووسطها أعرض من رأسها والطرف الثانى محدود، ويذكر أيضا الجزيرة فيقول «أن طولها من رأس إلى رأس ميلان وعرضها مقدار رمية سهم» (٣).

وتبلغ مساحة الجزيرة الآن ٣١٨ فدانا وهى مستطيلة الشكل تقريبا وطرفاها مدببان ، ويبلغ متوسط طول الجزيرة من طرفها الشمالى (عند فندق ميرديان الآن) وبين طرفها الجنوبى عند المقياس ٣٢٠٠ متر تقريباً، كما أن عرضها فى وسط هذه المساحة من فرع النيل الشرقى إلى

---

(١) ذكر الباحث « عبد القادر عبد العزيز» فى ص ٢٨ من رسالته «استخدام الأرض فى الجزر النيلية بمحافظة القاهرة» : أن جزيرة الروضة كانت حتى أوائل حكم دولة المماليك تتوسط مجرى النيل.

* ولكن ذلك الرأى متناقض كلام الرحالة الذين زاروا مصر زمن الدولة الفاطمية والدولة الأيوبية فعلى سبيل المثال ذكر «الادريسى» المتوفى ٥٦٠هـ أى قبل إنتهاء الدولة الفاطمية « أن الفرع الغربى للنيل كان أكبر بكثير وأن عدد المراكب بالجسر عليه أضعاف مضاعفة لمراكب الجسر الشرقى» . انظر : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ط ليدن، ١٨٦٤، ص ٣٢٣.

(٢) عبد القادر عبد العزيز ، استخدام الأرض فى الجزر النيلية أمام القاهرة، ماجستير «غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣) ص ٢٨ . Nordon. Iravels in Egypt and Nubia, Vol. I. P. 47.

(٣) نزهة المشتاق، ص ٣٢٥.

* والميل العربى يعرف أيضا بالهاشمى ويقدر بـ١٨٤٨ مترا. انظر : محمد كمال السيد، أسماء ومسميات، ص ٣٧، حاشية (١).

فرعه الغربى ٦٠٠ متر فى المتوسط [١].

الاسماء التى أطلقت على جزيرة الروضة :

عرفت هذه الجزيرة فى أول الاسلام باسم الجزيرة، وبجزيرة مصر [٢]، كما عرفت بجزيرة بابليون حيث ورد ذلك الاسم فى أوراق البردى التى ترجع إلى ولاية قرة بن شريك (٩٠ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٨ ـ ٧١٤م) والتى اكتشفت فى كوم اشقوه بأسيوط [٣]، وعرفت أيضا باسم جزيرة الصناعة لما أنشئ بها دار لصناعة السفن سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م [٤] كما عرفت باسم جزيرة المقياس أو دار المقياس [٥] نسبة لمقياس النيل الذى بنى بها أولا سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م كما قيل لها جزيرة الحصن [٦] نسبة للحصن الذى اقامه بها أحمد بن طولون سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، كما عرفت أيضا باسم جزيرة الفسطاط [٧] لمواجهتها لمدينة الفسطاط.

وأخيرا عرفت باسم جزيرة الروضة نسبة للبستان الذى أنشأه الوزير الفاطمى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م فى شمال الجزيرة، وقد سماه الروضة [٨] فعمت التسمية على الجزيرة كلها بعد ذلك حتى وقتنا الحاضر.

وقد ذكر المؤرخون نقلاً عن ابن المتوج فى كتابه ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل إنما سميت جزيرة مصر بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها، وبحر النيل حائز ودائر عليها، وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن فى غيرها [٩].

---

(١) تقرير وزارة الاشغال والموارد المائية، وأبعاد الجزيرة تقريبا ثابتة على مر الفترات فقد قدر «جومار» طولها بـ ٣١٥٠ متر وعرضها بـ ٧٥٠ متر. انظر: وصف مدينة القاهرة، ص ٣٣٤. أما «كريزول» فقد طولها بـ ٣٠٠٠ متر وعرضها بـ ٥٠٠ متر. Creswell, The Muslem Architecture of Egypt, 2 Vol. I, p. 85 (1952 - 58) Oxford ويذكر «محمد كمال السيد» أن مساحة الجزيرة تقرب من ٤٣٤ فدانا، انظر: أسماء ومسميات ص ٤٢٦.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٨.

(٣) أنور عبد العليم، البحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط، مقالة بكتاب «تاريخ البحرية المصرية، (نشر جامعة الاسكندية، ١٩٧٤)، ص ٣٤٧، إبراهيم العدوى، ولاية قرة بن شريك على مصر فى ضوء أوراق البردى، بحث فى المجلة التاريخية المصرية، المجلد ١١، سنة ١٩٦١م، ص ٦٣.

(٤) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٣، ص ٣٣٩.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٣، الادريسى، نزهة المشتاق، ص ٣٢٣.

(٦) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٨.

(٧) الكندى (أبو عمر محمد يوسف، ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، الولاة والقضاة، (طبعة رفن كست، بيروت، ١٩٠٨)، ص ٧٨.

(٨) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١.

(٩) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٣، ص ٣٣٩، السيوطى، حسن =

التطور العمرانى للجزيرة قبل العصر المملوكى:

بالرغم من النشاط الزراعى وانتشار البساتين بجزيرة الروضة منذ القدم إلا أنها كانت بحكم موقعها أمام مدينة الفسطاط عاصمة مصر عامرة بالسكان والعمران، بخلاف الجزر النيلية الأخرى التى كانت تستخدم للزراعة على وجه العموم، بالإضافة لكونها منتزه العاصمة حينئذ والمتنزهين والمتفرجين بها لا ينقطعون عنها لذلك فقد عمرت عمارة عظيمة منذ الفتح الإسلامى حتى وقتنا هذا.

وكان الجزء الجنوبى من الروضة أكثر تعميرا بحكم الموقع ومواجهته لمصر القديمة حتى قبل الفتح الإسلامى، كما أنه كان عريضا حيث أن الطرف الشمالى للجزيرة كان ضيقا وأحدث نشأة كما هو ثابت جغرافيا أن الأطراف الشمالية من الجزر هى الأطراف النامية والمنخفضة فى نفس الوقت لذا تمركز العمران فى الجزء الجنوبى من الجزيرة فى حين أن الطرف الشمالى للجزيرة كان هو المستغل فى الزراعة والبساتين، بالإضافة لوجود الجسور الرابطة بين الجزيرة وكل من الفسطاط والجيزة بالجزء الجنوبى منها [1].

وقد كان لجزيرة الروضة دور فى الأحداث التى صاحبت الفتح الإسلامى لمصر فقد كان بها القلعة تحصن بها الروم بقيادة المقوقس حاكم مصر حينئذ بعد أن قطعوا الجسر الواصل بينهم وبين الشاطئ الشرقى للنيل، ولما انتصر جيش المسلمين بقيادة عمر بن العاص خرب أبراجها وأسوارها، وقد كانت هذه الأسوار مستديرة عليها [2].

الجزيرة فى زمن الدولة الأموية (٤١هـ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م):

صار للجزيرة دور هام منذ بداية الدولة الأموية وذلك لأن الوالى مسلمة بن مخلد الأنصارى (٤٧ ـ ٦٢هـ/ ٦٦٧ ـ ٦٨١م) أنشأ بها سنة ٥٤ هـ/ ٦٧٤م دار الصناعة [3] التى

= المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٧، كوكب الروضة (مخطوط) ورقة ٣، ٤، ١١.

* وقد وردت كلمة الروضة فى القرآن الكريم فى الآية ١٥ من سورة الروم، وفى الآية ٢٢ من سورة الشورى.

* ومن معانى الروضة هى البقعة التى يصيبها الماء فينبت فيها البقل والعشب. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، جـ٣، ص ٨٣ ـ ٩٦، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٣، ٤.

(١) محمد عبد العزيز، جزيرة الروضة وآثارها الدراسة حتى نهاية العصر المملوكى، ماجستير «مخطوطة»، (كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧) ص ٤.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١٠٩، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٨، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٧، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ٩٧.

(٣) الصناعة ويقال لها دار الصناعة هى المكان المخصص لإنشاء وتعمير جميع السفن والمراكب الخاصة بأعمال الدولة سواء كانت حربية أو خاصة بركوب الخليفة أو الملك أو من المراكب التى تنقل الغلات السلطانية =

كانت تصنع بها السفن البحرية بنوعيها الحربية والتجارية، وكذلك ازداد العمران بالجزيرة فبنيت بها الدور والقصور المشرفة على النيل فى فترة حكم الوالى عبد العزيز بن مروان (٦٥ ـ ٨٥ هـ/ ٦٨٥ ـ ٧٠٤م) الذى عين للجزيرة والى يتولى الحكم [١] بها نتيجة ذلك العمران، كما كان يوجد بالجزيرة فى أيامه فرقة من ٥٠٠ فاعل معدة لمقاومة أى حريق أو هدم يكون فى البلاد [٢].

وكان بالجزيرة عدد كبير من الحوانيت ملكا للخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤م) لا سيما فى جزئها الجنوبى [٣]، وهذه الحوانيت دليل آخر على العمران الكبير الذى كانت عليه الجزيرة فى زمن الدولة الأموية.

= والأخشاب وغيرها، واطلاق لفظ الصناعة دون تخصيص على صناعة السفن منذ أوائل العصر الإسلامى يدل دلالة واضحة كما تقول د. سعاد ماهر على مبلغ اهتمام الدولة الإسلامية بالقوى البحرية ولذا فقد أصبحت الصناعة لديها تعنى فى المقام الأول صناعة السفن والاساطيل، وقد نقل الفرنج دار الصناعة عن طريق الاسبان إلى لغاتهم فقال الاسبان Darcinah وأخذتها عنهم سائر اللغات الأوربية وصارت الكلمة Arsenal، ثم عاد العرب فأخذوها عن الاسبان Iarsanah وظنوها تركية فعربوها إلى ترس خانة أو ترسانة. وأنشئت أول دار للصناعة السفن فى مصر فى العصر الإسلامى سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م فى عهد واليها مسلمة بن مخلد أثناء خلافة معاوية بن أبى سفيان وكان مقرها جزيرة الروضة على ساحلها الجنوبى الشرقى، وأحيانا كانت الصناعة على الساحل الغربى للجزيرة، فى ولاية محمد بن طغج الاخشيد (٣٢٣ ـ ٣٣٤ هـ/ ٩٣٤ـ ٩٤٥م) نقل جزء من دار صناعة السفن من جزيرة الروضة إلى ساحل فسطاط مصر، وكان الساحل فى ذلك الوقت ينتهى إلى الطريق التى يمر بها اليوم شارع الديورة شرق فم الخليج حيث كان يجرى فى زمن الدولة الاخشيدية تحت ذلك الشارع وفى أول حكم الدولة الفاطمية نقلت دار الصناعة إلى المقس حيث كان النيل يجرى فى المنطقة التى يشغلها اليوم ميدان رمسيس بجوار جامع أولاد عنان (الفتح حاليا)، ثم اعيدت الصناعة أيام الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥ ـ ٥٢٤هـ/ ـــ/ ١١٠١ ـ ١١٢٩م) إلى محلها السابق بساحل مصر حيث شارع الديورة الآن، ولما طرح البحر وتكونت أرض جديدة بين شارع الديورة وساحل أثر النبى الحالى بفم الخليج نقلت الصناعة إلى ساحل مصر تجاه دار النحاس (دير النحاس بجوار كوبرى الملك الصالح حاليا)، واستقرت مدة طويلة إلى أن نقلت إلى ساحل بولاق فى عهد محمد على باشا وعرفت باسم الترسانة.

المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٩ ـ ١٩٧، محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٤، ص ٩٩ ـ ١٠٠، انور عبد العليم، البحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط، ص ٣٤٦ ـ ٣٥٥ سعاد ماهر، البحرية فى مصر الإسلامية، (نشر الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧)، ص ٣١١ ـ ٣١٨.

Wiet, (G) Materiaux Pour un Corpus Inscriptionum, PP. 165 - 169.

(١) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبدالله، ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧١م)، فتوح مصر وأخبارها تحقيق محمد صبيح، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ٧٦، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٦١، السيوطى كوكب الروضة، مخطوط، ورقة ٢٠.

(٢) المقريزى الخطط، جـ٢، ص ١٧٨، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٨.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص ٩٦.

وفى فترة خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩ هـ / ٧١٥ ـ ٧١٧م) بنى أسامة بن زيد التنوخى عامل الخراج بمصر مقياس بها سنة ٩٧ هـ / ٧١٦م، وهو أول مقياس يبنى فى الإسلام [١].

الجزيرة فى زمن الدولة العباسية (١٣٢ ـ ٦٥٦هـ / ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م) :

بالرغم من خلو المصادر من الأخبار عن جزيرة الروضة أيام ولاتها من قبل الدولة العباسية إلا أن ذلك لا يعنى عدم الاهتمام بها، إلا أن اهم الأعمال التى خلدت جزيرة الروضة بناء مقياس النيل الحالى سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦٢م فى فترة خلافة الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ / ٨٤٦ ـ ٨٦٢م) على يد واليه على مصر يزيد بن عبدالله التركى (٢٤٢ ـ ٢٥٣هـ / ٨٥٦ ـ ٨٦٧م)، وقد عرف هذا المقياس باسم المقياس الجديد تمييزا له عن مقياس أسامة [٢].

وعندما استقل أحمد بن طولون بحكم مصر وأسس دولة مستقلة عن الخلافة العباسية استمرت ثمانية وثلاثين عام (٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ ـ ٩٠٥م) وتوترت العلاقات بينه وبين الخلافة، وتحرك القائد العباسى موسى بن بغا سنة ٢٦٣هـ / ٨٧٧م فى زمن الخليفة المعتمد على الله ليحل محل ابن طولون ويكون واليا على مصر وجميع أعمال ابن طولون، لذا فقد أقام أحمد بن طولون حصنا منيعا بالجزيرة [٣] على انقاض وبقايا أبراج وأساسات الحصن الرومانى القديم [٤]، ليتخذه للدفاع ضد الجيش الذى يقوده ابن بغا وخصوصا وأن العاصمة آنذاك (مصر والفسطاط والقطائع) كانت بدون قلاع أو أسوار تحميها، وكان ذلك الحصن فى مأمن استراتيجى إذ يحيط بها الماء من كل ناحية، وقد اجتهد ابن طولون فى بنائه وانفق عليه ثمانين ألف دينار ليكون معقلا له ولحريمه وذخائره [٥]، كما اجتهد ابن طولون فى بناء المراكب الحربية وأحاطها بالجزيرة حرصا منه فى الدفاع عن الفسطاط التى أدرك أنها عرضة للهجوم

(١) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٢٩٤، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٥٨، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٢، ص ٣١٠.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٥٨.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٨٠، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٣، ص ٣٣٩، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٣، ص ٣٧٨.

(٤) كان «القلقشندى» دقيقا فى كلامه على بناء حصن ابن طولون حيث ذكر نقلا عن القضاعى أن أحمد بن طولون «جدد» الحصن الرومانى. انظر: صبح الأعشى، جـ٣، ص ٣٣٩.

* أى أنه استغل اساساته وأبراجه وأجزاء من أسواره كانت باقية أيامه، ويؤكد ذلك أقوال المؤرخين الذين أجمعوا على أن الحصن لم يستغرق بناؤه زمنا طويلا وانما ستة أشهر فقط.

* بالاضافة إلى ذلك نقول أن الحصون الرومانية بأسوارها وأبراجها كانت قوية ومتينة البنيان وكان من العناء محوها، وليس أدل على ذلك من وجود بعض الأبراج وأساسات الأسوار الخاصة بالحصن الرومانى المعروف بحصن بابليون بمارجرجس بمصر القديمة والذى كان على سمت واحد مع حصن الروضة.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٠.

والاستيلاء عليها بسهولة من ناحية النيل فاتخذ ابن طولون مائة مركب حربية سوى ما أضيف إليها من المراكب الصغيرة الحجم وعمد إلى سد مداخل البحر المتوسط بهذه المراكب خشية الهجوم عليه بحرا عن طريق فرعى دمياط ورشيد [١].

وفى تلك الأثناء كان موسى بن بغا متباطئا ومتثاقلا فى حملته على مصر لعظم شأن ابن طولون وقوته، فلم يلبث ابن بغا أن مات سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م فكفى الله ابن طولون شره[٢].

وقد ظل حصن ابن طولون عامرا أيامه وعملت فيه صناعة مصر التى تنشأ فيها المراكب الحربية واستمرت إلى أيام محمد طغج الأخشيد فنقلها منها [٣] وظل الحصن قائما حتى أخذه النيل شيئا بعد شىء [٤] وهدمه إلى بنى مكانه الصالح نجم الدين أيوب قلعته.

ومثلما استقل ابن طولون بحكم مصر، فعل نفس الشىء محمد بن طغج الأخشيد وأسس دولة استمرت أربع وثلاثين سنة (٣٢٣ـ٣٥٨ هـ/ ٩٣٥ـ٩٦٩م)، وفى سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م أمر محمد بن طغج الأخشيد بنقل دار صناعة السفن من جزيرة الروضة إلى دار خديجة بنت الفتح بن خاقان زوجة أحمد بن طولون بساحل الفسطاط وأطلق عليها الصناعة الكبرى[٥]،

(١) نفسه.

(٢) سجل الشعراء أعمال ابن طولون هذه من بناءه للحصن والمراكب فى قصائد بمناسبة حملة موسى بغا عليه، فقال الشاعر محمد بن داود وهو موال ومؤيد للخلافة العباسية ومتحاملا فى أشعاره على ابن طولون:

ولما ثوى بن بغا بالرقتين بلا ... ساقيه زرقا إلى الكعبين والعقب
بنى الجزيرة حصنا يستجن به ... بالعسف والضرب والصناع فى تعب
وراقب الجيزة القصوى فخندقها ... وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راكدة ... فما سوى القار للنظار والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت ... بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها الغزو الروم محتسبا ... ولكن بناها غداة الروع والعطب

وقال أيضا سعيد بن القاضى من أبيات له:

وإن جئت رأس الجسر فانظر تأملا ... إلى الحصن أو فاعبر إليه على الجسر
ترى أثرا لم يبق من يستطيعه ... من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
مآثر تبلى وإن باد أهلها ... ومجد يؤدى وارثيه إلى الفخر

انظر: المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٠ـ١٨١، السيوطى حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٨ـ٣٧٩. على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ٧ـ٨.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١.

(٤) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١٠٩، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٣٣٩، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٣، ص ١٢، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٩، كوكب الروضة، ورقة ١٦.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٨، والجدير بالذكر هنا أن الساحل فى زمن دولة الاخشيد كان ينتهى إلى الطريق التى يمر فيها اليوم شارع الديورة شرقى فم الخليج حيث كان مجرى النيل يمر فى ذلك المكان حينئذ. انظر: محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٤، ص ٩٩ـ١٠٠.

وكان نقل الصناعة بسبب استراتيجى أمنى فقد أراد الأخشيد أن لا يحول بينه وبين الصناعة نهر النيل وذلك لنجدتها إذا هاجمها مهاجم، وذلك لأن صناعة الجزيرة تعرضت لهجوم كبير من قبل الثوار الخارجين على الأخشيد واستيلائهم على الجزيرة وإحراقها سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م[١]، وقد أقام الأخشيد مكان الصناعة بستانا نزها سماه المختار وعمر به قصرا مرتفعا[٢].

وقد ذكر هذا البستان والقصر «المسعودى» كشاهد عيان فى حديثه عن الاحتفال بليلة الغطاس فى زمن الأخشيد فى سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م[٣]، وصار الأخشيد ببستانه هذا وقصره يفاخر به أهل العراق، وكان يتنزه به هو وأسرته من بعده، وظل هذا البستان متنزها ملوكيا حتى أن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله قد اتخذه متنزها له وكذلك فعل ابنه العزيز بالله[٤].

الجزيرة فى زمن الدولة الفاطمية (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١م):

فى زمن الخلافة الفاطمية تمتعت جزيرة الروضة بأهمية كبرى إذ أن الخليفة المعز لدين الله لما قدم إلى مصر سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٤م اتخذها متنزها له ولأولاده وخلفاءه من بعده وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس لها وال وقاض حتى ذكرها المؤرخون المعاصرون كمدينة كبيرة

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٦، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٩.

* وموضع بستان المختار الآن الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة، فقد ذكر المقدسى «أن متنزه أمير المؤمنين عند الخليج (يقصد سيالة الروضة) بموضع يسمى المختارة. . ويلقى الخليج العمود (يقصد عمود المقياس) تحت الجزيرة عند المختارة. انظر: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط ليدن، ١٩٠٦، ص ٢٠٠.

* وقد اعتقد المقدسى أن فرع سيالة الروضة خليج شقه بعض الخلفاء من ولد العباس فسميت تلك القطعة بالجزيرة. انظر: نفس المصدر، ص ١٩٨.

* والمختارة هى كنيسة تسمت بهذا الاسم نسبة إلى بستان المختار بجوارها.

* وقد ذكر المؤرخون أن الملك الصالح نجم الدين أيوب خرب الهودج والبستان المختار عندما شرع فى بناء قلعته الصالحية بالروضة والتى كانت تمتد من المقياس جنوبا إلى زاوية البسطامى شمالا.

* وبناء على ذلك فإن موضع حصن بن طولون وموضع بستان المختار والقصر اللذين حلا محل الحصن يمتد الآن من زاوية البسطامى التى لا تزال تقع جنوب كوبرى الملك الصالح بحوالى ١٢٠ متر حتى المقياس.

* هذا وقد أطلقت مصلحة التنظيم على أحد شوارع هذه المنطقة اسم شارع المختار.

(٣) المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين، ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط بيروت، ١٩٨٧)، جـ١، ص ٣٤٤.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢. ص ١٨١، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٩.

تقترن بالقاهرة ومصر فكان يقال «القاهرة ومصر والجزيرة» [١] كما كان للجزيرة سوق [٢] مما يدل على عمرانها الكبير فى زمن الفاطميين، وقال عنها الرحالة «الإدريسى» المتوفى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م « فى هذه الجزيرة مساكن جليلة ومبانى متصلة على ضفة النيل وهذه الجزيرة تسمى دار المقياس » [٣].

وعن العمران بالجزيرة نجد فى فترة حكم الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ـ ٤١١هـ/ ٩٩٦ـ ١٠٢٠م) أن الأمير غبن [٤] قد عمر جامعا بالروضة به خطبة [٥] وهو أول المساجد الجامعة

(١) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٣٩، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٩.

(٢) ابن ميسر (تاج الدين محمد بن على، ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، المنتقى من أخبار مصر تحقيق أيمن فؤاد سيد، (نشر المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١)، ص ١١٠.

(٣) نزهة المشتاق، ص ٣٢٣.

(٤) غبن هذا كان أحد خدام الحاكم بأمر الله، وفى سنة ٤٠٢هـ رقاه إلى منصب قائد القواد وقلده الشرطتين والحسبة بمصر والقاهرة والجيزة، ثم نكبه الحاكم سنة ٤٠٤هـ بقطع يده ولسانه، وحملت يده فى طبق إلى الحاكم، ثم أمر الحاكم بقتله سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م انظر: ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٥، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٩٧ـ ٣٩٨.

* ومن الطريف أنه قد عثر فى حفائر مدينة الفسطاط على جزء كبير من طبق خزفى كبير يحمل اسم غبن والقابه، وصار لهذا الطبق شأن كبير فى تاريخ القاهرة الأثرى والفنى كما كان لغبن شأن فى تاريخها السياسى. وعن هذا الموضوع بالتفصيل انظر: حسن الباشا بحث بعنوان «طبق غبن» فى كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، نشر مؤسسة الأهرام، ١٩٧٠، ص ٥٢١.

(٥) ظلت الخطبة بهذا الجامع إلى أن عمر جامع المقياس سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م فبطلت منه، فلما أنشأ الصاحب محيى الدين من الصاحب بهاء الدين بن حنا داره قبالة هذا الجامع بالكوم الأحمر بمنشية المهرانى (بالقرب من فم الخليج الآن) طلب من والده أن يكلم السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ـ ١٢٧٧م) فى إعادة الخطبة إليه ففعل ذلك، وصادف ذلك الطلب قبولا فى نفس الظاهر وذلك لأنه كان كثير التردد والتنزه بالجزيرة وإقامة الاستعراضات البحرية واللعب بالشوانى والمراكب فى النيل، بالإضافة لكثرة الخلق بالجزيرة ومشقتهم فى الذهاب إلى جامع المقياس بآخر الجزيرة، فأعيدت إليه الخطبة سنة ٦٦٠هـ مع استمرارها فى جامع المقياس، وكانت المبانى قد كثرت من حوله حينئذ. انظر: ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٥، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٩٧، السيوطى كوكب الروضة، ورقة ٤٠.

* وقد حل محل جامع غبن زاوية صغيرة بشارع محمد ذو الفقار بالمنيل شمال غرب كوبرى الملك الصالح بحوالى ١٥٠ مترا، وتعرف تلك الزاوية الآن باسم جامع الأباريقى لأن الشيخ أحمد الأباريقى (من أهل القرن السابع الهجرى) قد اتخذ من جامع غبن بالروضة خلوة له فدفن به فعرف بزاوية الأباريقى، وفى سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م بنى الأمير على باشا شريف أحد أمراء أسرة محمد على زاوية صغيرة بها ضريح الأباريقى وقد ذكر «على مبارك» أنه حين حفرت الأرض بقرب الزاوية لأخذ التراب منها ليرفع به أرض بستانه وجد كثيرا من قطع الرخام وأحواضا ومجارى وغير ذلك من الأشياء القديمة لجامع غبن». انظر الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١٢، سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ٢، ص ٩٧ـ ١٠١.

* ويتكون جامع أو زاوية الأباريقى حاليا من مسجد بسيط مستطيل يتوسط جداره الجنوبى الشرقى محراب وفى الجانب الشمالى الغربى منه باب يدخل منه إلى حجرة مستطيلة المساحة اقتطع منها جزء مربع على =

بالروضة، وقد كثرت العمائر حوله حينئذ، وهذا الجامع هو الذى أشار إليه الرحالة الفارسى «ناصر خسرو» عند زيارته مصر فى سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م فعند كلامه عن الجزيرة قال «والجزيرة غربى النيل وبها مسجد جمعة وحدائق وهى صخرة وسط النهر تقسمه قسمين»(١).

وقد شهدت الجزيرة فى سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م أحداثا سياسية خطيرة تأثرت مبانيها فيها مثلما حدث بالفسطاط والقاهرة فى الشدة المستنصرية، إذ حدثت فيها فتنة عظيمة بين طائفتى العبيد والترك المتصارعتين أيام الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ/ ١٠٣٥ ـ ١٠٩٤م) عقب الشدة العظمى واستولى العبيد فى تلك الأيام على الجزيرة واستمرت الحرب بينهما مدة(٢).

ثم هدأت الأحوال بعد ذلك وعاد العمران للجزيرة لذا ففى سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م تم بناء جامع فى النهاية الجنوبية للجزيرة بجوار المقياس من جهة الغرب سمى جامع المقياس على يد الوزير بدر الجمالى بعد ترميمه للمقياس (٣).

= المستوى العلوى بأركانها أربع حنايا ركنية بسيطة أقيمت فوقها قبة، ويتوسط الحجرة مقام الشيخ الأباريقى، وكان الجامع والقبة مزخرفتين بالزخارف النباتية بالألوان الزيتية إلا أنها حجبت الآن بفعل طلاء حديث.

(١) ناصر خسرو علوى (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٤٥، ص ٦١.

(٢) المقريزى، الخط، جـ١، ص ٣٣٧، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ١٨.

(٣) جدد هذا الجامع الملك الصالح نجم الدين أيوب، وقد زاد فى مساحته وجعل حوله سورا وفى ١١ رجب سنة ٨٢٣هـ أمر السلطان المؤيد شيخ بهدم هذا الجامع وتوسيعه وتعميره على أحسن ما يكون ولكنه مات قبل إتمامه فأتمه من بعده السلطان الظاهر جقمق وأوقف عليه أوقافا كثيرة، كما عمره الاشرف قانصوه الغورى وأوقف عليه أوقافا كثيرة. وقد قام علماء الحملة الفرنسية برفع الجامع هندسيا فكان مسقطه الأفقى مستطيل الشكل ويتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به ٤ ظلات، الظلة الجنوبية الشرقية تتكون من ثلاث بلاطات والمقابلة من بلاطتين، والظلة الجنوبية الغربية من بلاطة واحدة والمقابلة مثلها، وتلك الظلات مقامة على أربع وثلاثين عمودا وأربعة أكتاف بأركان الصحن، ومدخل الجامع بالجانب الشمالى الشرقى، وله شبابيك مطلة على النيل، وكان له مئذنة ارتفاعها وقت الحملة أربعة وعشرين مترا، وكان يتصل بالجامع سلالم موصلة إلى النيل عددها ثمانية عشر درجة وربما كانت تستخدم مقياسا للنيل وقد سجلت الحملة بعض النصوص الكتابية التى كانت بالجامع وكانت تحمل دعاء للخليفة المستنصر والوزير بدر الجمالى وتاريخ سنة ٤٨٥هـ، وفى زمن محمد على أقام المهندس الفرنسى باسكال كوست فى عام ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م مصنعا للبارود بالقرب من المقياس وأدى انفجار المصنع فى عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م إلى تدمير الجامع، وفى سنة ١٨٥٠م أزال حسن باشا المناسترلى محافظ القاهرة آنذاك بقايا الجامع لقيم مكانه السلاملك (الكوشك) الخاص بجلوس رجال السراية المسمى الآن قصر المناسترلى، وبنى بدلا منه مسجدا صغيرا شمال شرق المقياس. انظر: ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٥ ـ ١١٦، على مبارك، الخطط التوفيقية، ط ١٩٨٦ جـ٢، ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠، جـ١٨، ص ١٣. محمد عبد العزيز، جزيرة =

ومن المتنزهات الكبيرة التى أقيمت بجزيرة الروضة فى الدولة الفاطمية البستان الذى أقامه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى بحرى (شمال) الجزيرة وقد سماه الروضة، وكان ذلك الوقت صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة [١]، وكان الأفضل كثير التردد على الجزيرة ويمضى إليها كل يوم فى مراكب النزهة المسماة العشاريات الموكبية إلى قتل سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م [٢] وكانت جزيرة الروضة فى ذلك الوقت أنزه بقع مصر ولم يكن فيها فى الديار المصرية بقعة تشاكلها لما كان فيها من البساتين والمناظر [٣]. وموقع بستان الروضة يحتله الآن مستشفى وكلية طب القصر العينى وكلية طب الأسنان.

كما أنشأ الخليفة الفاطمى الأمر بأحكام الله (٤٩٥ ـ ٥٢٤هـ/ ١١٠١ ـ ١١٢٩م)، مكانا (متنزها) بجوار البستان المختار سماه الهودج [٤]، لمحبوبته (زوجته) البدوية التى هام بها حبا وذلك لأنها كما ذكر المؤرخون «صعب عليها مفارقة ما اعتادت، وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج على شاطىء النيل فى شكل غريب» [٥].

وقد أراد الآمر ببناء الهودج هذا أن يقربها لبيئتها التى اعتادتها، وظل الآمر يتردد على الهودج للتنزه إلى أن قتل برأس الجسر الذى بين الفسطاط والروضة فى ذى القعدة سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م [٦].

= الروضة، ص ٤٨ ـ ٥٠، عبداللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، دكتوراة «غير منشورة»، (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م) جـ٢، ص ٥٠٦. Discription De L'Egypte Vol XV, PP. 459 - 463. Wiet (G) Combe (E). Sauvaiget (J), " Repertoire Chronlogiqui D'epiqraphie Arabe I XVI Le Caire IFAO 1931 - 1964 VII 265 - 9 , No. 2794 - 6 Creswell, MAE I 219.

(١) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٧.

(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٨٧، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٠.

(٤) يمثل الهودج الآن المنطقة التى تقع مواجهة لكوبرى الملك الصالح وإلى الجنوب منه بقليل لأنه كان مجاورا لبستان المختار وكان بستان المختار يقع بآخر الجزيرة، وقد خربهما الملك الصالح نجم الدين أيوب عند بناء قلعته التى كانت تمتد من زاوية البسطامى شمالا حتى المقياس جنوبا. هذا ولا تزال زاوية البسطامى قائمة إلى اليوم بعد إعادة بنائها بشارع البسطامى وتقع على بعد ١٢٠ متر جنوب كوبرى الملك الصالح. وقد أخطأت مصلحة التنظيم حين أطلقت اسم الهودج على أحد شوارع مصر القديمة انظر: محمد رمزى، مذكرة ببيان الأغلاط التى وقعت من مصلحة التنظيم، ص ١٣.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٢، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص ٢٢١، ٢٧١.

(٦) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١١٠، ابن سعيد، المغرب، ص ٨٩، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٨٤، جـ٢، ص ٣٨٠، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٢٣. وعن قصة الخليفة الآمر مع البدوية ذكر المؤرخون أن الخليفة الآمر كان صغير السن متجاهرا بالمسكرات ومشتغلا بسماع الزمور =

= وشرب الخمر وانشغل عن أحوال المملكة وصار الناس فى زمانه مثل الغنم بلا راع فاضطربت أحوال مصر كما ذكر «ابن إياس». وكان الخليفة الآمر متيما بحب البدويات، وكانت قصة تلك البدوية تشبه القصص الخالدة وقصص ألف ليلة وليلة، فقد ذكر المقريزى نقلا عن القرطبى أن الخليفة الآمر قد ابتلى بعشقه الجوارى العربيات فكان يجتهد فى طلبهن، ولما سمع عن تلك البدوية التى بالصعيد وأنها شاعرة بليغة رائعة الجمال والحسن تحيل لرؤياها بأن ذهب لحيها متخفيا بزى الأعراب ونزل ضيفا على أهلها وتحايل حتى رآها فعشقها فرجع إلى قصره بالقاهرة وارسل يخطبها من أهلها فوافقوه فتزوجها وحظيت عنده بأسمى منزلة، وكانت هذه البدوية قد ألفت طلق الهواء وتسريح النظر فى الفضاء والسماء فضاقت نفسها أن تكون حبيسة الجدران بالقصور فشكت للآمر فأنشأ لها بجوار البستان المختار مكانا يتفق مع طلبها اسماه الهودج، وكانت تلك البدوية متعلقة بابن عم لها يسمى ابن مياح فكتبت إليه وهى بقصر الخليفة الآمر:

يا ابن مياح إليك المشتكى ... ما لك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حيى مرأ مطلقا ... نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر مؤصد ... لا أرى إلا حبيبا ممسكا
كم تثنينا بأغصان اللوا ... حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى ... حيثما شاء طليق سلكا

فأجابها ابن مياح:

بنت عمى والتى غذيتها ... بالهوى حتى علا واحتنكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها ... لو غدا ينفع منها المشتكى
مالك الأمر إليه يشتكى ... هالك وهو الذى قد هلكا
شأن داود غدا فى عصرنا ... مبديا بالتيه ما قد ملكا

فبلغت الآمر فقال: لولا أنه ساء الأدب فى البيت الرابع لرددتها إلى حيه وزوجتها به وغضب الآمر على ابن مياح فهرب واختفى وطلبه الآمر فلم يصل إليه، وكان هناك شاعرا من بنى طئ اسمه طراد بن مهلهل فلما بلغه قضية الآمر مع العالية البدوية قال:

ألا أبلغوا الآمر المصطفى ... مقال طراد ونعم المقال
قطعت الأليفين عن ألفة ... بها سمر الحى بين الرجال
كذا كان آباؤك الأقدمون ... سألت فقل لى جواب السؤال

فلما بلغ الآمر شعره قال جواب السؤال قطع لسانه على فضوله، وأمر بطلبه فى أحياء العرب ففر ولم يقدر عليه، فقالت العرب: ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أبيات من الشعر، وتناقل الناس الأشعار وأخبار الآمر مع البدوية، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٢، السيوطى كوكب الروضة، ورقة ١٦.
وهذه القصة لها أصل مشابه من قبل حيث تزوجت ميسون بنت بجدل الكلبية معاوية بن أبى سفيان التى أنجبت له ابنه يزيد، وكانت قد برمت بحياة الترف وسكن القصور وحنت إلى حياة البادية التى نشأت فيها فقالت الأبيات المشهورة منها:

لبيت تخفق الأرياح فيه ... أحب إلى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى ... أحب إلى من لبس الشفوف
وأكل كسيرة فى عقر بيتى ... أحب إلى من أكل الرغيف =

ك

وكان للفاطميين منظرة [1] أعدت للنزهة تسمى المشتهى ذكرها المقريزى [2] لكنه لم يحدد مكانها ولا تاريخها ، ولكن «ابن دقماق» عين موضعها فذكر أنها فى طرف الروضة تجاه الجامع الناصرى ولكن لا يوجد فى نص «ابن دقماق» من قام بإنشائها وفى أى سنة بنيت [3]، ولكن بالرجوع إلى «ابن ميسر» فى كتابه المنتقي من أخبار مصر نرى أن المشتهى تعود إلى ما قبل سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م ذكر فى حوادث شهرى صفر وجمادى الأولى سنة ٤١٥هـ، أن الخليفة الظاهر (٤١١ ـ ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠ ـ ١٠٣٥م) ركب إلى المشتهى بجزيرة الروضة [4].

ومنظرة المشتهى حل محلها فى العصر المملوكى رباط [5] سمى رباط المشتهى أقام به أحد اعلام الصوفية فى زمنه وهو الشيخ الكازرونى [6] وقد دفن به وعرف قبره فى العصر العثمانى باسم زاوية الشيخ الكازرونى، وحتى الأربعينات من هذا القرن كانت الزاوية موجودة على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية بأول شارع جامع قايتباى إلا أنها أزيلت بعد ذلك.

= وكلب ينبح الطراق دونى ... أحب إلى من قط ألوف
وخرق من بنى عمى نحيف ... أحب إلى من علج عنوف

وسمعها معاوية تقول هذه الأبيات أو نقلت إليه فقال: ما رضيت بنت بجدل حتى جعلتنى علجا عنوفا، هى طالق ثلاثا، دعوها تأخذ ما فى القصر فهو لها، ثم سيرها إلى أهلها بنجد وكانت حاملا بيزيد فولدته وأرضعته سنتين ثم أخذه معاوية. انظر: محمد كمال السيد، أسماء ومسميات، ص ٤٣٥.

(١) المنظرة ما هى إلا قصر كامل المرافق والمشتملات كان الخلفاء الفاطميون يتنزهون به يومى السبت والثلاثاء من كل أسبوع ويقومون بتوزيع الصدقات والمآكل على الفقراء. السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٧.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٩٠، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٦.

(٣) ورد النص كالتالى «زاوية المشتهى عمرها.. فى سنة .. وهى فى طرف جزيرة الروضة تجاه الجامع الناصرى». الانتصار، جـ٤، ص ١١٦. الجامع الناصرى كان يقع على النيل فى المنطقة التى بها أول شارع السكر والليمون جنوب قناطر مجرى العيون بفم الخليج بمصر القديمة بالقاهرة.

(٤) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٢٣، ٤١، ٤٥.

(٥) الرباط هو نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الإسلام بحد السيف، وكانت الأربطة منتشرة فى صدر الإسلام قبل أن ينتشر الدين ويستتب الأمن وتأمن الدولة الإسلامية على حدودها، وقد كانت فى تصميمها تشبه التحصينات الحربية فمعظمها عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل وفى أركانها أبراج للمراقبة، ولما زالت عن تلك الأربطة صفتها الحربية أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة تسكنها الصوفية. انظر: المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٤٢٧، سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ١، ص ٤١٣.

(٦) الكازرونى هو بهاء الدين محمد بن عبدالله الكازرونى الذى قدم إلى مصر فصحب الشيخ أحمد الجزرى صاحب الشيخ ياقوت تلميذ أبى العباس المرسى وزوج ابنته، وانقطع بعده فى المشتهى من الروضة وكان الناس يترددون إليه ويعتقدونه، وكان أعجوبة فى جذب الناس إليه، وقد توفى ليلة الأحد ٥ ذى الحجة ٧٧٤هـ/ ١٢٧٣م ودفن بزاويته بالروضة انظر: المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ٢٠٩، ابن حجر العسقلانى، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، (ط حيدراباد، ١٣٤٨هـ/ ١٣٥٠هـ، جـ١، ص ٤٩ ـ ٥٠.

وذكر ابن دقماق أيضا زاوية تعرف بزاوية المنتهى ولكنه لم يذكر القائم على تعميرها وزمن بنائها[1]، ويبدو أنها قد اقيمت فى العصر المملوكى محل إحدى المناظر الفاطمية.

ومن أخبار الجزيرة أيضا فى العصر الفاطمى أنه فى سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م نقل الوزير المأمون البطائحى إنشاء الشوانى وغيرها من المراكب النيلية من صناعة الجزيرة إلى الصناعة التى بساحل مصر [2].

=ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص ١١٥، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ١١٤ وقال المقريزى عن الرباط «ولله در شيخنا العارف بالله الأديب شهاب الدين أحمد بن أبى العباس الدمنهورى حيث يقول:

بروضة المقياس صوفية ... هم منية الخاطر والمشتهى
لهم على البحر أياد علت ... وشيخهم ذاك له المنتهى

وقال العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الصائغ الحنفى:

يا ليلة مرت بنا حلوة ... أن رمت تشبيها لها عبتها
لا يبلغ الواصف فيوصفها ... حدا ولا يلقى له منتهى
بت مع المعشوق فى روضة ... ونلت من خرطومه المشتهى

الخطط، جـ٢، ص ٤٢٩. وقد ذكر السيوطى أنه قد سكن بالقرب من المشتهى من الصوفية سيدنا محمد وفا الأكبر والد أهل البيت الوفائى واستمر أبناءه من بعده. السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ١٦.

أما الرحالة النابلسى الذى زار مصر سنة ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م فقال: «وزرنا قبر الشيخ الكازرونى صاحب الحاشية المشهورة فى تفسير البيضاوى فى قبة هناك على الطريق. الحقيقة والمجاز، ص ٢٣٦.

وتقول د. سعاد ماهر أن المقريزى سمى الزاوية باسم الرباط مما يدل على أنها كانت بناءا كبيرا يشتمل مجموعة من الغرف للمريدين والمنقطعين للعبادة من الصوفية للتتلمذ على يدى شيخنا الكازرونى». مساجد مصر، جـ٣، ص ٣١٠.

أما على مبارك فيذكر «أنه فى زمنه (سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) أن الزاوية المشهورة بزاوية الكازرونى موقعها غربى سراى الخديو إسماعيل، وبنتها سعادة والدة الخديوى المذكور وأقام بها الشيخ على القشلان أحد رجال الطريقة القادرية ومعه سبعة دراويش ورتبت بها مولدا سنويا». الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١٤.

وذكر المرحوم محمد رمزى، أن زاوية الكازرونى باقية أيامه (ت ١٩٤٥م) وهى مقامة الشعائر بشارع الكازرونى بجزيرة الروضة. تعليقه على النجوم، جـ١١، ص ١٢٥.

أما عن مصير هذه الزاوية فقد أزيلت فى الأربعينات من هذا القرن لانفاذ شارع جامع قايتباى وكان موضعها فى نهاية شارع عبده بدران المتفرع من شارع المنيل بالقرب من محطة أتوبيس الباشا حاليا.

هذا ويوجد بالروضة الآن شارع متفرع من شارع المنيل يتجه غربا على ناصية سينما جرين واسمه شارع قصر المشتهى، وهذا الموقع بعيد عن موقع زاوية المشتهى (الكازرونى).

(١) الانتصار، جـ٢، ص ١١٦.

(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٩٣، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٨٢.

obeikandl.com

وفى شهر شعبان ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة الروضة وظلت فى ملكه إلى أن أمره السلطان صلاح الدين الأيوبى بالقدوم إلى الشام فلما تحقق للمظفر أنه لم تكتب له العودة إلى مصر أوقف الجزيرة بكاملها على مدرسته المعروفة بالمدرسة التقوية التى كانت تعرف قديما بمنازل العز، وعلى مدرسة أخرى بالفيوم ثم سار إلى مملكة حماه حيث تولى الحكم بها [١].

جزيرة الروضة فى زمن الدولة الأيوبية (٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ/ ١١٧١ ـ ١٢٥٠م):

ظلت الجزيرة متنزها كبيرا فى زمن الدولة الأيوبية [٢]، كما ظلت وقفا على المدرسة التقوية بمصر حتى ولى الحكم الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ ـ ٦٤٧ هـ/ ١٢٣٩ ـ ١٢٤٩م) فأستأجر الجزيرة من القاضى المعروف بابن السكرى مدرس المدرسة التقوية ومباشر أوقافها وذلك لمدة ستين سنة [٣].

وأقام الملك الصالح بالجزء الجنوبى من الجزيرة بجوار المقياس قلعته التى عرفت باسم قلعة المقياس أو قلعة الروضة أو قلعة الجزيرة أو القلعة الصالحية، أو قلعة جزيرة الفسطاط [٤] وقد

---

(١) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١٠٩ ـ ١١٠، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٤ ـ ١٨٥، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٠، كوكب الروضة، ورقة ١١.
وعن منازل العز ذكر كل من المقريزى وابن دقماق « أن منازل العز قد بنتها السيدة تغريد أم الخليفة العزيز بالله بن المعز، ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل ولا يحجبها شىء عن منظره، ثم صارت معدة لنزهه الخلفاء، فلما زالت الدولة الفاطمية نزلها الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب مدة ثم اشتراها والحمام والاصطبل المجاور لها من بيت المال فى سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م كما اشترى جزيرة الروضة فلما أراد الخروج من مصر أوقف منازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها الحمام وما حولها، وعرفت منازل العز حينئذ بالمدرسة التقوية نسبة إلى تقى الدين عمر، وكانت عامرة أيام المقريزى». انظر: الخطط، جـ١. المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٨٤، جـ٢، ص ٣٦٤، ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ٩٣ وموقع منازل العز الآن منطقة واقعة على شاطئ النيل بمصر القديمة ومحلها الآن مجموعة المبانى التى تحد من الغرب بشارع كورنيش النيل ومن الجنوب والشرق شارع المرحومى ومن الشمال شارع القبوة. أما المدرسة التقوية فقد أقيم موضعها اليوم جامع شهاب الدين أحمد المرحومى الذى يتوسط هذه المنطقة بشارع المرحومى بمصر القديمة انظر: على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١، ص ٧١، ٧٢، محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٥، ص ٣٨٦، عبد الرحمن زكى، موسوعة مدينة القاهرة، ص ٣٧٠. Casanova, Op. Cit. P. 105.

(٢) انظر: ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق حسنين ربيع، (القاهرة، ١٩٧٢، ١٩٧٧، جـ٥، ص ٢٧٨، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ١٢ ـ ١٣، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٦، ص ٣٢٠.

(٣) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٠، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٥.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣، ٢٩٧، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٣١، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨١.

بناها لتكون قصرا ومقرا للحكم وحصنا له ولمماليكه الذين أكثر من شرائهم حتى ضاقت بهم القاهرة وصاروا يشوشرون على الناس وينهبون الأسواق [١] فكثرت شكوى الناس منهم فاضطر الملك الصالح لبناء القلعة لهم على بحر الروضة فسموا البحرية نسبة لذلك، ومالبثوا غير شهور قليلة من نهاية حكم الصالح إلا وقد أزالوا دولة الأيوبيين وكونوا دولتهم المملوكية، كما ذكر المؤرخون سببا آخر لبناء القلعة وهو حب الصالح للعمارة وإنشائه لعمارات عظيمة كان يشرف عليها بنفسه لذا فقد بنى هذه القلعة لتخلد اسمه فى التاريخ [٢].

وكانت القلعة تقع فى الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة [٣]، وكان موقعها هذا موفقا من الناحية الاستراتيجية لكونها تقع بجزيرة يحيط بها نهر النيل من جميع النواحى مما جعلها فى وضع أفضل من الناحية الدفاعية، وقد شرع فى حفر أساسات القلعة فى ٥ شعبان سنة ٦٣٨هـ وابتدأ البناء يوم ١٦ من هذا الشهر [٤]، وفى العاشر من ذى القعدة بدأ الهدم فى الدور والقصور والمساجد التى بموضعها، كما هدمت كنيسة اليعاقبة[٥] كانت بجوار المقياس

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٦٩.

(٢) المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٣٠١، ٣٤١.

(٣) كانت هذه القلعة تقع بنهاية جزيرة الروضة فيما بين زاوية البسطامى شمالا حتى المقياس جنوبا، ويتضح ذلك من وصف المؤرخين وكتاب وصف مصر، فقد ذكر «السيوطى» عن زاوية البسطامى أنها بنيت فى مكان برج الطراز أول أبراج القلعة من جهتها الشمالية، وعلى ذلك يتضح أن القلعة كانت تشغل من الأرض مساحة حوالى ٦٥ فدانا واقعة فى الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة، ومكانها المنطقة التى تحد من الشمال بشارع الملك المظفر وشارع البسطامى ومن الغرب نهر النيل ومن الجنوب قصر المناسترلى ومقياس النيل ومن الشرق سيالة الروضة. انظر: محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٦، ص ٣٢٠.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣، السلوك، جـ١، ص ٣٠١.

(٥) اليعاقبة نسبة لمن يتبعون المذهب اليعقوبى أحد المذاهب الدينية المسيحية، فقد كانت الامبراطورية البيزنطية قد عقدت عدة مجمعات دينية لمناقشة أمور الدين المسيحى والتى من أهمها طبيعة المسيح عليه السلام، ومن أهم المجمعات مجمع خلقدونيا الرابع سنة ٤٥١م والذى تمخض عن خلاف كبير بين كنيسة الاسكندرية المصرية والكنيسة البيزنطية حول طبيعة المسيح إذ أن الكنيسة المصرية اعتقدت بأن السيد المسيح جوهر من جوهرين وقنوم من قنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين وقد سمى اتباع هذا المذهب اليعاقبة نسبة إلى يعقوب وهو أما ديسقورس بطرق الاسكندرية صاحب هذا المذهب حيث كان يسمى يعقوب من قبل، أو هو يعقوب أحد تلاميذه، أو يعقوب البرادعى تلميذ ساويرس بطرك انطاكية وكان أهم الزهاد المتمسكين بهذا المذهب.

أما الكنيسة البيزنطية فاعتقدت أن المسيح جوهران وطبيعتان ومشيئتان وقنوم واحد، وقد سمى اتباع هذا المذاهب بالملكانيين نسبة إلى ملك بيزنطة الذى اعتقد به وقد اتخذ المصريون من هذا الخلاف العقائدى متنفسا لهم لإعلان سخطهم واستيائهم من الحكم البيزنطى فتأجج الصراع بينهما. انظر: المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٤٨٨ـ٤٨٩. وعن هذا الموضوع انظر: حسنين ربيع، دراسات فى الدولة البيزنطية.

أما عن كنيسة اليعاقبة هذه التى كانت بجزيرة الروضة وكان بابها أمام باب مسجد المستنصر بالله الفاطمى بجوار المقياس فهى قديمة وترجع إلى ما قبل الاسلام، وقد ذكر المؤرخون أنها تنسب إلى ابن لقلق بطرك اليعاقبة وكان بها بئر ماحة وقد كان من عجائب مصر أن فى وسط النيل جزيرة يتوسطها بئر ماحة، وقد=

وأدخلت أرضها فى أرض القلعة، كما خرب الهودج والبستان المختار وذكر المؤرخون أنه كان بموضع القلعة أشجار ونخل وجميز فقطع منها نحو ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه وكذلك قطع أربعمائة جميزة، كما ذكروا أنه هدم ثلاثة وثلاثين مسجدا عمرها خلفاء مصر وسراة المصريين [١]، وان كان يبدو على هذا العدد المبالغة إلا أنه يعبر عن مدى عمران الجزيرة آنذاك.

وقد بالغ الصالح فى اتقان بناء القلعة وزخرفتها، وقد بناها بالجص والآجر والنورة وأنفق عليها أموالا طائلة وكان الملك الصالح يشرف بنفسه عليها «فصارت تدهش من كثرة زخرفتها وتحير الناظرين إليها من حسن سقوفها المزينة وبديع رخامها» [٢].

وكانت مساحة القلعة خمسة وستين فدانا وقد استغرق بنائها ثلاث سنوات أى تمت سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م [٣] وظلت عامرة أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأقام بها هو وأسرته ومماليكه الألف وقيل الثمانمائة، وقد اهتم بتحصينها، وأثناء ذلك جدد جامع المستنصر، وقد غرس فيها من جميع الأشجار ونقل إليها الأعمدة من المعابد المصرية القديمة وشحنها بالأسلحة والآت الحرب وكل ما يحتاج إليها من الغلال والمؤن [٤] فى ذلك الوقت الذى شهد صراعا كبيرا مع الصليبيين، وقد جعل حول القلعة شوانى (مراكب) حربية مشحونة بالسلاح ومعدة لقتال الفرنج واقفة عند الصناعة التى اختطها بالجزيرة وجعل بها عماير المراكب الحربية والنيلية [٥].

= كان الرهبان المقيمن بالكنيسة يتولون أمر قياس النيل حتى بنى المتوكل المقياس الحالى فأمر بأن يكون مقياس النيل بأيدى المسلمين وأسند تلك المهمة لابن أبى الرداد ثم توارثها أبناؤه من بعده وقد تعرضت الكنيسة للهدم أثر زلزال عنيف أيام البطرك مقار الذى عين بطريركا على اليعاقبة فى سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، ثم رممت الكنيسة بعد ذلك، وقد جعل البطريرك كيرلس الثانى مقر البطريركية فى هذه الكنيسة فترة من الزمن، وكان لهذه الكنيسة بستان وقاعات وجواسق مطلة على النيل، وقد عرفت الكنيسة بأسم كنيسة ميخائيل المختارة أو كنيسة المختار نسبة لبستان المختار، وكانت متنزها كبيرا فى زمن الدولتين الفاطمية والأيوبية، وكان الاهتمام بها كبيرا، وقد ظلت قائمة حتى هدمها الملك الصالح وأدخل أرضها فى داخل القلعة.
موقع هذه الكنيسة الآن المنطقة التى تقع أمام مدخل قصر المناسترلى بجوار المقياس انظر: ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٢، ص ٢١٠، ٢٢٠، جـ٣، ص ٥، ٦، جـ٤، ص ٧٧. ابن فضل الله العمرى، الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد، مخطوط، ص ٤٧، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣، ٤٩٦، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق ١، ص ٢٧٠.

(١) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٠، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٢.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٢.

(٣) المقريزى، نفس المصدر والصفحة، السيوطى، نفس المصدر والصفحة.

(٤) المقريزى، نفس المصدر والصفحة.

(٥) ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٤، ص ١١٧، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٠.

ولما أتم الملك الصالح عمارة القلعة انشد الشعراء أشعارا تخلد تلك الأعمال منهم الشاعر علم الدين أيدمر الحموى الذى نظم قصيدة طويلة يمدح فيها السلطان ويذكر فيها القلعة ويصف الاحتفالات بالمقياس وهى قصيدة طويلة نقلها «ابن دقماق» (١).

أما الرحالة الأديب الأندلسى «ابن سعيد» فقد ذكر الروضة وخص منها قلعة وأعمال الصالح بها بالوصف والمدح فقال « هى أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة، وبها مقياس النيل وكانت متنزها لأهل مصر فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالى السمك لم ترعينى أحسن منه » (٢).

وقال أيضا «وكنت أشق فى بعض الليالى بالفسطاط على ساحلها فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدرى اللون، ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة فى البناء، وأبصرت فى هذه الجزيرة إيوانا لجلوسه لم ترعينى مثاله ولا أقدر ما أنفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام والأبنوس والكافورى والمجزع ما يذهل الأفكار ويستوقف الأبصار، ويفصل عما أحاط به السور أرض طويلة وفى بعضها حاظر حظر به على أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر»(٣).

وفى هذه السطور رسم لنا ابن سعيد صورة جميلة لجزيرة الروضة والقلعة الصالحية فعلى الرغم من اتجاه الصالح لجعلها حصنا منيعا إلا أنه أضاف إليها السمات الجمالية وجعلها متنزها حسنا عظيما وألحق بها حديقة للحيوان ومروجا خضراء تسر الناظرين.

هذا وقد كان لبناء القلعة فى القسم الجنوبى من الروضة أثر كبير فى اتساع عمران الروضة فى جزئها الشمالى إذ تحول ساكنوا الجزء الجنوبى إليه، وكذلك عمر الشاطئ الشرقى للنيل فى الجزء المواجه للقلعة عمارة كبيرة آنذاك حيث بنى الأمراء منازلهم ليكونوا على مقربة من قلعة السلطان فعظمت عمارة الفسطاط على النيل (مصر القديمة) وانتقل إليها كثير من الامراء وضخمت أسواقها واستجدت أسواق أخرى لمجاورتها للجزيرة وقلعتها الصالحية ولخدمة الأجناد بها (٤).

وقد بقيت من القلعة الصالحية بقايا القاعات والعمائر التى قام بها الملك الصالح نجم الدين

---

(١) الانتصار، جـ٤، ص ١١٠ ـ ١١٤.
(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣.
(٣) نفسه، ص ١٨٣، ١٨٤.
(٤) ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، ص ٢٧.

أيوب سجلتها الحملة الفرنسية منها قاعة رئيسية أبعادها ٦٠ر١٤ × ٧٠ر١٢ متر يتوسطها قبة كانت مقامة على أربعة أكتاف وحول القاعة أبنية مختلفة الأحجام أغلبها كان متخربا [١].

وكذلك رأى الرحالة بوكوك الذى زار مصر فى القرن الثامن عشر بقايا جدران من الطوب الأحمر ارتفاعها عشرة أقدام عبارة عن أبراج غير كاملة الاستدارة من بقايا القلعة[٢].

وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بعمل حفائر بجوار المقياس سنة ١٩٣٥م اكتشف «كامل غالب» فيها بقايا جدران وأرضيات حجرية كبيرة الحجم كانت تخص القلعة [٣].

تاريخ الجزيرة وتطورها العمرانى فى العصر المملوكى:

حظيت جزيرة الروضة فى عصر سلاطين المماليك بعناية فائقة، وظلت مدة حكمهم موضع نزههم هم ورعاياهم، ومكان احتفالاتهم وأعيادهم، وبجانب المنشآت المعمارية بالجزيرة فقد ضمت أيضا الحقول المزروعة والبساتين ذات الأشجار المثمرة والأزهار[٤] ما يبهج النفس ويسر العين ويجعل أفئدة الناس تهوى إليها فكان ينطبق عليها المثل: «ثلاثة يذهبن الحزن، الخضرة والماء والوجه الحسن»، وقد اجتمعت هذه المزايا وغيرها فى جزيرة الروضة.

ومن الجدير بالذكر أن صناعة السفن ازدهرت بدار الصناعة بالجزيرة فى العصر المملوكى ازدهارا كبيرا وشهدت الروضة متنزهات بحرية كبيرة.

أما عن العمارة بها فى العصر المملوكى فكان لها شأن كبير حتى أن ابن دقماق المتوفى سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م يذكر أنه كان يوجد بها نحو العشرين مسجدا [٥].

---

(١) Discription de L'Egypte, Vol XV, P. 465, Omar Toussoun, Memoire Sur L'histoire du Nil, L'Institut D'Egypte le Caire, Tome 2, P. 340, Creswell, The Muslim Architecture of Egypt, Vol. 2. P. 86. على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ٢٥.

(٢) Pococke , A Discription of the East and Other Countries, 2 Vol, London, 1754, P. 29.

(٣) محاضر لجنة الآثار العربية، ملحق تقرير ٧٠٤ فى نوفمبر ١٩٣٥.

(٤) ذكر السيوطى أنه كان يزرع بها من الزهور البنفسج والورد والنرجس والمنثور والسوسن وشقائق النعمان والبهار والياسمين والنيلوفر والمزرحوش والريحان والنارنج، ومن الفواكه الليمون والكمثرى والعنب والتين واللوز والسفرجل والرمان والنبق والقثاء والخيار والبلح والرطب، ومن الخضروات القرنبيط والسبانخ والقرع والباذنجان والجزر، وكان يزرع بها أيضا أشجار الزيتون والعنب والخروب والبرقوق والتوت وقصب السكر والبطيخ والخشاش. انظر: كوكب الروضة، ورقة ١٣٤.

(٥) الانتصار، جـ٤، ص ١١٦.

وعن أحوال الجزيرة فى أول العصر المملوكى نجد أن السلطان المعز عز الدين أيبك (٦٤٨ ـ ٦٥٥هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥٧م) قد أمر فى سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م بإخلاء قلعة الروضة وتحول من كان فيها من المماليك والحراس، وهدم منها جانبا وأخذ أعمدة رخامية منها وشبابيك حديد وأخشاب وغير ذلك وعمر به مدرسته التى برحبة الحناء فى فسطاط مصر [١]، وطمع فى القلعة كل من له جاه فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة [٢].

إلا أن الملك الظهر بيبرس (٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م) أمر بعمارة القلعة الصالحية واصلاحها فتم اصلاح بعضها على يد الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الذى وزع أبراجها على كبار الأمراء، وقد أمر الملك الظاهر بأن تكون بيوت جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم [٣].

وقد اضطر الظاهر بيبرس لقطع صف يتكون من أربعين شجرة جميز كانت بالروضة على شاطئ النيل ليعمر بها شوانى بدلا من الشوانى التى كانت قد سيرها إلى قبرص وتكسرت هناك [٤].

وقد كان الظاهر كثير التنزه بالروضة وعمل الاستعراضات البحرية بها، كان نتيجة اصلاحاته بقلعة الروضة أن زاد الاهتمام بالجزيرة والسكنى بها والتنزه فى ربوعها فعادت فرجا ومتنزهات وقصورا ودورا وبساتين وجوامع وحمامات [٥] وقد ازداد العمران فى شمال الجزيرة فى ذلك الوقت فبنيت المساجد والدور وغيرها وبصفة خاصة حول جامع غبن [٦] الذى رمم واعيدت إليه الخطبة سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٠م [٧].

ولكن ذلك التعمير للقلعة لم يستمر إذ أنه لما تولى السلطنة الملك المنصور قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ/ ١٢٧٩ ـ ١٢٩٠م) امتدت يده إلى القلعة وأخذ من عمدها ورخامها واعتابها شيئا كثيرا استخدمه فى بناء بيمارستانه وقبته ومدرسته بالقاهرة التى أنشأها سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨١م [٨].

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٤، السلوك، جـ١، ص ٣٨١، السيوطى، كوكب الروضة ورقة ٣٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٢.

(٢) أثناء تجوالى بآثار منطقة مصر القديمة وجدت بجامع المرحومى الواقع بشارع المرحومى المواجه للمقياس عمودين رخاميين مجزعين غاية فى الروعة ينطبق وصفهما مع ما ذكره المؤرخون عن الأعمدة التى كانت بالقلعة بالروضة ونهبت منها.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٤، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص ٩٢، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٥، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٢.

(٤) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٩، ٣٠، ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٠.

(٥) ابن دقماق، نفس المصدر والصفحة. (٦) محمد عبد العزيز، جزيرة الروضة، ص ١٨.

(٧) انظر ما سبق، ص ٧٩.

(٨) ابن دقماق، نفسه، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٤، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٥، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ص ٢٧٢.

وفى سلطنة حسام الدين لاچين (٦٩٦ ـ ٦٩٨هـ/ ١٢٩٦ ـ ١٢٩٨م) أخذ محمد بن أصيل بن محمد الهمذانى وهو من ذرية المتوصف أبى اليزيد البسطامى (المتوفى سنة ٢٦١هـ/ ٦٧٥م) توقيعا من السلطان لاچين بإقامة زاوية له فى سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، وقد جدد هذا التوقيع من السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير فى سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م [١] وينص التوقيع على وقف الزاوية وقطعة أرض بجوارها مزروعة بقول وخضر وغيرها من الأشجار لينتفع بها الفقراء [٢] وقد بنيت هذه الزاوية على برج الطراز وهو أول برج من أبراج القلعة من السور الشمالى لها[٣].

وفى أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ ـ ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ ـ ١٣٤٠م) فعل ما فعله من قبل أبوه السلطان المنصور قلاوون، فأخذ من انقاض القلعة ما بنى به الإيوان المعروف بدار العدل بقلعة الجبل، والجامع الناصرى الجديد بظاهر مدينة مصر على النيل، وأخذ منها ما بقى من أعمدة ورخام وغير ذلك [٤]، ومن يومئذ دثرت معالم قلعة الروضة وخربت وصارت كأنها لم تكن ولم يبق منها سوى عقد تسمية العامة القوس وكانت تتنزه به وكان فيما يلى جانبها الغربى أدركه المقريزى سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م [٥] وفيه يقول الشاعر النواجى:

مصر قالت دمشق لا ... تفتخر قط باسمها

لو رأت قوس روضتى ... منه راحت بسهمها [٦]

وهذا يدل على عظمة ما كانت عليه القلعة وعلى أهمية الجزيرة كمتنزه عام، وبقى كذلك من آثار القلعة بقايا أبراج كثيرة بنى عليه الناس الدور الجليلة المطلة على النيل [٧] وهى باقية إلى أيام «ابن إياس» المتوفى عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م [٨].

---

(١) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥ ب.

(٢) انظر التوقيع فى السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥ب، على مبارك الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١٣ ـ ١٤.

(٣) فى سنة ٧٧٠هـ: ١٣٦٩م حولت زاوية البسطامى إلى جامع عرف بجامع الريس نسبة إلى رئيس الخلافة فتح الدين صدقة بن ناصر الدين بن زين الدين بن زيلع فى سلطنة الأشرف شعبان (٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣ ـ ١٣٧٧م) وقد ذكر السيوطى أنه رابع جامع اقيم بالروضة انظر: ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٦، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥.
ثم هدم هذا الجامع مع الزمن وعاد زاوية تعرف باسم صاحبها الأول البسطامى، وهى لا تزال موجودة حتى الآن وبها ضريح البسطامى بشارع صغير يسمى شارع البسطامى متفرع من شارع الملك الصالح على بعد حوالى ١٢٠ متر جنوب كوبرى الملك الصالح، وهى عبارة عن مسجد صغير بنى حديثا مساحته ١٢×٦ متر وبالركن الغربى منه مقام البسطامى.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٤.

(٥) نفسه.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٢.

(٧) الخطط، جـ٢، ص ١٨٤.

(٨) بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٢.

وباندثار القلعة الصالحية عادت الجزيرة مكانا للتنزه والتفرج، وبها البساتين الكثيرة الحسنة والجوامع التى تقام فيها الجمع والأعياد والمساجد والأربطة [١].

ومن الجوامع العظيمة ألتى بنيت فى سلطنة الناصر محمد هو الجامع الذى بناه القاضى المعروف بالفخر الذى كان يشغل منصب ناظر الجيش فى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م وعرف حينئذ بجامع الفخر [٢] ثم جدده الصاحب شمس الدين الشهير بالمقس ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م [٣].

وفى سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م لم تسلم جزيرة الروضة مثل غيرها من الأوقاف والرزق الاحباسية التى أوقفت على أولاد الملوك والأمراء السابقين من المصادرة والحل الذى ساد فى العصر المملوكى، فقد قام النشو ناظر الخاص [٤] الذى كثرت مظالمه فى دولة الناصر محمد بضم أراضى جزيرة الروضة إلى جملة أراضى الناصر محمد بعد أن كانت بيد أولاد الملوك، كما فرض الغرامات على أصحاب الدور بها وقطع جوامك ومرتبات القضاة وشيوخ العلم وغيرهم مما يخص الجزيرة [٥].

وقد عرفت جزيرة الروضة المتنزهات والمفترجات الخاصة ذلك انه فى شعبان سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م عمل الأمير چركس الخليلى طاحونا فى مركب تدور بالماء مثل الرحى وأوقفها عند رأس روضة المقياس من جهة بر الجيزة بحبال ثابتة فى البر والبحر وأكراها لبعض الطحانين، وقد صارت متنزهات خاصا يأتى الناس إليها أفواجا من كل جهة يتفرجون عليها، وقد قال فيها أدباء الزمان اشعارا كثيرة منها قول الشهاب بن العطار:

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٥، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢ ص ٣٨٦، كوكب الروضة، ورقة ٣٣. ابن بطوطة، الرحلة، (نشر دار الكتاب اللبنانى)، ص ٣٢.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٦، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣١١، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص ٢٠٢.
وقد بنى الفخر ثلاثة جوامع، واحد ببولاق والثانى فى جزيرة الفيل والثالث هذا الذى فى الروضة وهو حسبما ذكر المؤرخون ثالث جامع أقيم بالروضة.

(٣) على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١٣.

(٤) لعب النشو دورا كبيرا فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون. وعنه بالتفصيل انظر: المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٤٧٣ ـ ٤٨٦.
أما عن وظيفة ناظر الخاص التى كان يشغلها النشو فهى من الوظائف المدنية الهامة وقد أحدثها الناصر محمد بن قلاوون، وكان أصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان من اقطاعه أو نصيبه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من الأموال العامة، وفى زمن تعطل الوزارة كان لناظر الخاص تدبير جملة الأمور. عن هذه الوظيفة بالتفصيل انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ أجزاء، (نشر مكتبة دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦)، جـ٣ ص ١٢٠٧ ـ ١٢١٠.

(٥) الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ٦٠، المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٩، ص ١٣٢.

سر لطاحون الخليلى التى ... تدور بالماء بمصر حقيق
قد شنفت من وصفها مسمعى ... لأنه من كل وجه دقيق [1]

وفى سلطنة المؤيد شيخ (٨١٥ ـ ٨٢٤ هـ/ ١٤١٢ ـ ١٤٢١م) أمر المؤيد فى ١١ رجب ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠ بتوسيع الجامع المجاور للمقياس بدور كانت بجانبه ولكنه مات قبل الفراغ منه فأكمله من بعده السلطان الظاهر جقمق [2].

ومن الأعمال العظيمة للسلطان قايتباى (٨٧٢ ـ ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ ـ ١٤٩٥م) الأمر بتجديد جامع الفخر فى ربيع الآخر سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م الذى جدده من قبل المقسى، وكان الشاد على عمارته البدرى حسن بن الطولونى، وقد ذكر «ابن إياس» أن قايتباى ظل يتردد إلى الروضة ويكشف عن بناء الجامع حتى انتهى منه فى سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م وقد جاء فى غاية الحسن والتزخرف وعرف باسم السلطان قايتباى [3]، ولكن «السيوطى» ذكر أنه أمر بأن يزاد فى هذا الجامع زيادة أخرى فى سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م وأنشأ حول هذا الجامع الغراس والعمائر الحسنة فعمرت تلك البعقة وأحيت الروضة بعد أن كادت أن تدرس محاسنها [4]، ولعل هذه الزيادة هى القاعة التى صيرت مسجدا وتقع فى ظهر الجامع أى فى الجانب الشمالى الغربى، وقد ذكرها «السخاوى» ضمن ترجمته لقايتباى فقال «. . وبالروضة جامعة هائلا كان من قديم مع صغره ساقطا مائلا فهدمه وعمل بجانبه ربعا وأنشأ خلفه قاعة صيرها مسجدا جليلة تزيينا ووضعا، وبنى هناك عدة دكاكين وطاحون وغيرها محكم التمكين. .» [5] وقد تمت أعمال الزيادات والعمارات الأخرى بجوار الجامع فى رجب ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م [6].

ومن الطرائف التى ارتبطت بتلك الأعمال أن البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين المشرف على العمارة قد وضع ناعورة (ساقية) فى وضع غريب بحيث تدور بحمار ينقل قدمة وهو واقف من غير أن يمشى أو يدور ويركب عليها طاحونه تدور بدورانها وكانت الناس تتوجه للفرجة عليها، كما كان البدرى حسن ابن الطولونى يصنع فى كل ليلة رابع عشر من كل شهر عربى ليلة حافلة بالجامع ويسمونها البدرية، وينصب على شاطئ البحر قدام الجامع من الخيام ما لا يحصى وتتجمع المراكب هناك حتى تسد النيل ويجتمع الجم الغفير من العالم، ويوقد بالجامع وقدة حافلة ويحضرها قراء البلد قاطبة والوعاظ، وتكون ليلة حافلة لم يسمع

(١) ابن قاضى شهبة، تاريخ ابن قاضى شهبة، ص ٨٥، المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ٤٧٢، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٧٨، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٣٠٧.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٩٧، السلوك، جـ٤، ص ٥٣٤، ٥٣٧، العينى، عقد الجمان، (نشر الزهراء)، ص ١٠٨، ابن حجر العسقلانى، انباء الغمر، جـ٣، ص ٢٢١، ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص ٤٩١.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٨٣.

(٤) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥أ.

(٥) الضوء اللامع، جـ٦، ص ٢٠٨.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٨٣.

بمثلها فيما تقدم واستمر الحال على ذلك مدة ثم بطل »[١].

وما زال جامع قايتباى عامرا للآن بذكر الله تعالى، وهو مسجل أثر رقم ٥١٩ بشارع جامع قايتباى بالروضة، وهو مصمم على نسق النظام المدرسى الذى يتكون من دور قاعة وسطى وإيوانين وسدلتين وكان ملحق به إضافات معمارية مثل القاعة التى اندثرت وغيرها[٢]. وقد كان للجامع أوقاف كثيرة وملاحق اغتصبت فى النصف الأخير من هذا القرن، وقد عرف الحى حول جامع قايتباى فى العصرين المملوكى والعثمانى باسم كفر قايتباى أو عزبة قايتباى وقد عرف جامع قايتباى فى وقت ما باسم جامع السيوطى لأن الأمام جلال الدين السيوطى أقام به أو سكن قريبا منه[٣].

وقد أراد السلطان قايتباى أن يبنى قصرا فى خرطوم الروضة (أى أقصى الطرف الشمالى لها) يكون له أربع واجهات خالية ولكن لم يتم له ذلك[٤].

أما السلطان الأشرف قانصوه الغورى (٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ/ ١٥٠٠ ـ ١٥١٦م) فقد كان أكثر السلاطين تنزها بالجزيرة على الاطلاق، وحظى المقياس منه برعاية فائقة، وأقام من الاحتفالات ما يفوق الوصف، ففى سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م أمر ببناء عدة منشآت معمارية بالروضة وجدد جامع المقياس، كما أنشأ قصرا على بسطة المقياس ومقعدا مطلا على النيل واهتم بإنشاء الحدائق والمتنزهات[٥]، وقد بنى الغورى هذا القصر ليكون بمثابة استراحة جمهورية أو ملكية بتعبير اليوم، فقد ورد بكتاب وقف الغورى أنه قد «بناه متنزها لنفسه ولمن يلى ملك مصر من بعده من ملوك الإسلام»[٦]. وقد أوقف الغورى على المقياس والجامع والقصر وعلى أرباب الوظائف بهم أوقافا عديدة منها أراضى بجزيرة الروضة نفسها كانت تعرف بالميدان والبرك بالقرب من زاوية البسطامى (جامع الريس) مساحتها عشرين فدانا، وكذلك حصته من أراضى جزيرتى الصابونى والذهب، وأرض جزيرة بكاملها هى جزيرة النشوة التى كانت مستجده حينئذ بين جزيرتى الصابونى ودير الطين (دار السلام حاليا)، وكذلك أوقف عدة عقارات بمصر القديمة وساحلها وغير ذلك[٧].

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٨٣، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥.

(٢) عن جامع قايتباى بالتفصيل، انظر: حسنى نويصر، عمائر قايتباى الدينية بمدينة القاهرة، دكتوراة «مخطوطة»، (كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٥).

(٣) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٢٧٤.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٢٤.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٥٤، ٢٧٦.

(٦) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ٥٠٢، ٥١٠.

(٧) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ٤٩٧، ٤٩٨، ولمزيد من التفاصيل، انظر: عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، دكتوراه، «مخطوطة» (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م).

هذا وقد أراد السلطان الغورى كما أراد السلطان قايتباى من قبل بناء قصر ذات أربع واجهات خالية فى سنتى ٩١٨هـ/ ٩١٩هـ بخرطوم الروضة ولكن ذلك لم يتم [١].

وكان يوجد بالروضة قرية كانت تعرف فى العصر المملوكى باسم منيل المماليك كانت مساحتها ٢٧٠ فدانا وكان يملكها الديوان السلطانى وهى التى عرفت فى العصر العثمانى باسم منيل الروضة وكانت تقع شمال جزيرة الروضة [٢].

تاريخ الجزيرة وتطورها العمرانى فى العصر العثمانى:

ظلت جزيرة الروضة فى العصر العثمانى (٩٢٣ ـ ١٢١٦هـ/ ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م) تحظى بنفس العناية والرعاية التى كانت عليها أيام الدولة المملوكية، وكانت مقاما لطبقة متميزة من المجتمع مثل الأمراء الذين اقاموا بها القصور الفخمة والحدائق الجميلة [٣]، فضلا عن اتخاذها متنزها عظيما ومحفلا رائعا.

ومنذ الفتح العثمانى لمصر نجد ذلك الاهتمام متمثلا فى كون السلطان المظفر سليم الأول فاتح مصر قد فضل اقامته بالروضة كما أنه أقام كوشكا فوق قصر الغورى [٤] فى شهر ربيع الأول سنة ٩٢٣هـ، وقد فرغ من بنائه فى مدة يسيرة وقد قال «ابن إياس» فى هذه المناسبة:

لو علم الغورى أن قصره ... يسكن للمظفر المؤيد

اضرم فيه النار من يومه ... ولم يدع من جدره جلمد [٥]

وقد زار مصر فى أول العصر العثمانى الرحالة المغربى ابن الوزان المعروف بليو الأفريقى وأشاد بجزيرة الروضة وذكر أنها عامرة جدا بالسكان وقدر عدد سكانها بألف وخمسمائة، كما أشاد بقصر الغورى والمقياس [٦].

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٨٣، ٣٣٩. (٢) ابن الجيعان، التحفه السنية، ص ١٤٦.

(٣) اندريه ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعى، ص ٢٠٢.

(٤) ذكر المؤرخ «يوسف الملوانى» أن هذا الكوشك (القصر) الذى أقامه السلطان سليم «مخروط الشكل» وهو بذلك يعد من التأثيرات العثمانية التى دخلت على أشكال العمائر بمصر، كما ذكر أن انه لما عاد السلطان من بلاد الروم (تركيا) وجد مكتوبا بخطه على حائط القصر داخله هذان البيتان، وهما:

الحمد لله من يظفر بنيل منى ... يردده قهرا ويلزم نفسه الدركا

لو كان لى أو لغيرى قدر انملة ... من الأمور لكان الأمر مشتركا

انظر: تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، (مخطوط برقم ٢٨ تاريخ فى مكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج)، ص ١٢٢.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ١٩٣.

(٦) ابن الوزان (الحسن بن محمد الوزان المعروف بليو الأفريقى، ت بعد سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجى ومحمد الأخضر، ط٢، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، سنة ١٩٨٣، ص ٢١٣.

وفى جمادى الأول ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م قام السلطان العثمانى عمثان الثانى بن أحمد الأول (١٠٢٦ ـ ١٠٣١هـ/ ١٦١٦ ـ ١٦٢١م) بتجديد ما انهدم من الكوشك الذى أقامه السلطان سليم كما قام بزخرفته [١].

واستمر العمران قائما بالجزيرة طوال العصر العثمانى، ونرى فى حجة وقف الأمير عابدى بك المؤرخة فى يوم ١٠ جمادى الأول سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م قيامه ببناء قاعات ومرافق خاصة بها وساقية وحوض دواب وطاحون وجنينة بالإضافة لبناء جامع وذلك فى جنوب الروضة تجاه مصر القديمة كما أوقف أوقافا وأموالا على زاوية البسطامى بالجزيرة أيضا [٢].

وقد أثنى على جزيرة الروضة الرحالة «النابلسى» الذى زار مصر سنة ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م فقال«.. مررنا على الروضة وهى جزيرة ذات الحسن المشهورة والمشتملة على الخضرة وألوان الزهور» [٣]. وعن قصور الروضة وبساتينها ومتنزهاتها قال أيضا: «.. ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى الروضة بمصر فدخلنا إلى مكان يشرح صدر المشتاق ويلذ لعيون العشاق وهو فى غاية الحسن والإشراق وفيه بركة من الماء فى وسطها مكان لطيف ومقعد ظريف فجلسنا هناك حصة من الزمان نحن والاخوان وهناك قصر تقصر عن وصف محاسنه ألسنة الرقوم ويقعد فى فضاء المشرف سمير الصبابة ويقوم» [٤].

وحفلت الجزيرة فى القرن ١٢هـ/ ١٨م بالعديد من القصور الفخمة والبساتين الكبيرة التى أقامها كبار الأمراء بمصر، ومن هؤلاء الأمير أحمد كتخدا المعروف بالمجنون[٥] (ت ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م) الذى أنشأ بستانا غاية فى الحسن وبنى بجانبه قصرا يذهب إليه فى بعض الأحيان، ولما حضر حسن باشا (ربما حسن باشا طاهر الذى قتل سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) إلى مصر ورأى هذا البستان أعجبه فأخذه لنفسه وأضافه إلى أوقافه[٦].

---

(١) الاسحاقى (محمد عبد المعطى)، لطائف أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، (ط المطبعة الأزهرية، سنة ١٣٠٠هـ)، ص ١٤٩.

(٢) الوثيقة رقم ٩٩٢ أوقاف.

(٣) النابلسى (عبد الغنى بن إسماعيل، ت ١١٤٣هـ/ ١٦٣٣م)، الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، (نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٦)، ص ٢٣٦.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٥٦.

(٥) الأمير أحمد كتخدا المعروف بالمجنون، كان من مماليك سليمان جاويش القاردوغلى ثم انضم إلى عبد الرحمن كتخدا فانتسب إليه، وتعرض للنفى بالحجاز مدة ١٢ سنة ثم استدعاه محمد بك أبو الذهب فى أمارته، وقربه إليه ورد إليه التزامه، وكان قد أنشأ بترسا التى تجرى فى التزامه قصرا وبستانا كبيرا زرع فيه أصناف الأشجار والنخيل والرياحين، وبنى أيضا داره بدرب سعادة، ودارا على الخليج المرخم، وقد توفى فى خامس من شعبان سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م. انظر: الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٦) نفسه.

وكان للأمير مراد بك [١] قصر كبير بالروضة، كان يتردد عليه، أحيانا كثيرة [٢] وهـذا القصر موقع على خريطة الحملة الفرنسية باسم قصر الروضة، وموضعه الآن المنطقة المواجهة لكوبرى الملك الصالح تمامًا.

وبدراسة خريطة الحملة الفرنسية نجد بعض التجمعات البنائية القليلة الصغيرة المساحة تتمثل فى بعض الكفور يسكن بها فلاحو الجزيرة تتمثل فى كفر عبد العزيز فى شمال غرب الجزيرة، وكذلك كفر قايتباى حول جامع قايتباى، وكذلك تجمع بنائى مجاور للمقياس بالإضافة لبعض القصور والجوامع المتفرقة بها، وقد حول الفرنسيون أحد المساجد إلى طاحونة هواء وكان برأس الجزيرة [٣] (لوحة ٦).

وكانت الجزيرة كلها مزروعة وتمثل البساتين ذات الأشجار المثمرة نسبة ٢٠٪ منها والباقى مزروعة بالحبوب بالبقول والخضر من كل الأنواع.

وكانت الجزيرة موضع عناية من الحملة الفرنسية حتى أن المهندس كفرللى صمم مشروعا لتحويلها إلى مدينة فرنسية لما تتمتع به من موقع دفاعى فريد ويسهل الدفاع عنها وتقويتها ويمكن توصيلها بجزيرة بولاق، بالإضافة لمتنزهاتها وحدائقها وجوها البديع [٤] وقـد قـام الفرنسيون أثناء وجودهم بمصر بإصلاح المقياس [٥].

وقد وصف «جومار» أحد علماء الحملة الفرنسية الجزيرة بما تضمه من حقول وبساتين رائعة وخصوصا حول المقياس واستخدامها للتنزه فذكر كثرة أشجار البرتقال والليمون المورقة والمزهرة دائما مما جعل المكان نزها ومعطر الهواء بأذكى العطور فى الوقت الذى يغرد فيه الآلاف من العصافير، وقد قارن جومار بين هذه البساتين وبين البساتين الأوربية، كما أشاد بطريق الجميز الذى كان يؤدى إلى المقياس على النيل ووصف أشجار الجميز بأنها أجمل الأشجار الموجودة بمصر وأن الحيز الذى يغطيه ظلها السميك يبلغ عرضه مائة قدم، ويبلغ قطر

---

(١) انظر ترجمة فيما سبق، ص ٦٧.

(٢) الجبرتى، عجايب الآثار، جـ٢، ص ٤٤٥، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، (القاهرة، ١٩٦٩م)، ص ٣١٥.

(٣) جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ص ٣٣٧.

(٤) جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٣٣٧.

(٥) ذكر «الجبرتى» عمارة الفرنسيين للمقياس فقال: « انهم غيروا معالم المقياس وبدلوا أوضاعه وهدموا قبته العالية والقصر البديع الشاهق والقاعة التى بها عمود المقياس وبنوها على شكل آخر لا بأس به ولكنه لم يتم وهى على ذلك باقية إلى الآن، ورفعوا قاعدة العمود العليا ذراعا وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع». عجائب الآثار، جـ٢، ص ٤٣٥. وعن عمارة الفرنسيين المقياس بالتفصيل أنظر، Marcel JJ, " Mémoire Sur Le Mekyas de L'ile de Roudah" Description de L'Egypte Etat Moderne XV, Paris, 1826.

جذع أكبرها ما بين ثمانية وعشرة أقدام وعلوها مائة وعشرين قدما، وكان طول طريق الجميز ١٢٠٠ مترا [١].

إلا إن الفرنسيين قد قطعوا الكثير من الأشجار والنخيل من جزيرة الروضة، مثلما فعلوا بالبساتين والجناين بمصر وبولاق وغيرها عقب الثورة ضدهم لاحتياجهم لأخشابها لعمل القلاع وتحصين الأسوار وعمل العجلات والعربات والمتاريس والوقود وكذلك المراكب والسفن [٢].

الجزيرة فى عصر أسرة محمد على :

شهدت جزيرة الروضة فى زمن أسرة محمد على نشاطا كبيرا فقد حفلت بقصور وبساتين عديد من الباشوات والبكوات، ومن أهمها بستان إبراهيم باشا بن محمد على، بالجزء الشمالى من الجزيرة، وقد أنشأه على طراز أوروبى وجمع فيه النادر من الأشجار والزهور التى أدخلت إلى مصر من أوروبا وأمريكا والهند [٣].

وقال عنه على مبارك « والناس يترددون على اختلاف طبقاتهم إلى البستان المذكور فى أيام شم النسيم وهو من أعظم البساتين لأحتوائه على الأشجار المتنوعة الغربية المجلوبة إليه من البلاد البعيدة واحتوائه أيضا على أصناف الحيوانات والطيور وبه خلجان من البناء تجرى فيها الماء، ومغارة معمولة من الودع وجبلاية مصنوعة مغروسة بالأشجار والأزهار ويحيط بالبستان المذكور رصيف من الثلاث جهات» [٤]. ويمثل موقع البستان الآن القصر العينى الجديد.

أما فى جنوب الجزيرة فقد أقام حسن باشا المناسترلى [٥] قصرا كبيرا وكوشكا فى سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م، وهذا الكوشك (السراى) قد حل محل جامع المقياس الذى ترجع أصوله إلى زمن الخليفة المستنصر الفاطمى، وقد كان قد تعرض للتدمير من جراء انفجار مصنع البارود الذى كان بالقرب من المقياس والذى صمم بمعرفة المهندس الفرنسى باسكال كوست فى عام ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م [٦].

---

(١) وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ص ٣٣٦، ومن الجدير بالذكر أنه يوجد حتى الآن بعض أشجار الجميز بجوار قصر المناسترلى وبشارع عمرو بن العاص على كورنيش الروضة.

(٢) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

(٣) كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، ترجمة محمد مسعود، ط٢، جـ١، (نشر دار الموقف العربى، القاهرة، ١٩٨١م)، ص ١٥٠.

(٤) الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١١.

(٥) كان حسن باشا المناسترلى يشغل منصب محافظ القاهرة، وقد توفى سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م.

(٦) Creswell, The Muslem Arehitecture of Egypt, I, P. 219.

وهذا الكوشك مبنى على الطراز الأوربى المسمى الباروك والروكوكو، وهذا الطراز انتشر بمصر من عصر محمد على، والكوشك عبارة عن صالة كبيرة تحفها الحجرات، وهذا الطراز من المبانى كان يبنى من الخشب وتكسى حوائطه بالحلفا والجبس وتنقش عليه الزخارف ويكون من دور واحد.

أما القصر الكبير الذى كان أمام الكوشك فقد اندثر الآن ومحله الآن محطة المياه الموجودة شمال الكوشك، وقد تخلف من هذا القصر سلسلبيل معروض حاليا بالحديقة المتحفية بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة.

وكانت جزيرة الروضة أيام «على باشا مبارك» يشغلها من الجنوب المقياس وسراى المناسترلى وشمالها بقليل تقع سراى وبستان سليم باشا الجزائرلى مطلة على سيالة الروضة وشمالا منه بستان السادات الوفائية ثم أرض الست البارودية وبها زاوية أبى يزيد البسطامى ثم أرض حسن باشا يجن وبستان شاكر بك ثم بستان وقصر على باشا شريف ثم بستان وقصر على باشا ذو الفقار ثم بستان وسراى للخديوى إسماعيل، ويفصل هذا القصر عن قصر والده عباس باشا الأول الطريق الموصل لجامع قايتباى، وفى شمال الجزيرة بستان إبراهيم باشا ابن محمد على.

أما الجانب الغربى من الجزيرة فيذكر على مبارك أنه كان يوجد من الجنوب سراى أمين باشا ثم أرض حسين باشا يجن ثم أرض على باشا شريف ثم أرض تعلق الخديوى إسماعيل ثم أرض أحمد باشا المنكلى ومنزل وبستان ورثة خليل بك، ثم القرية المعروفة بالمنيل ثم ثانية أرض ورثة أحمد باشا المنكلى ثم قصر وبستان قاسم باشا، ويتوصل منه إلى الفرع الشرقى بطريق مظلل بالأشجار [1].

هذا ويوجد حاليا مسجد يسمى مسجد الدرينى يقع شمال شرق جامع صلاح الدين داخل حرم كلية طب الأسنان، وكان يقع أيام على مبارك غرب بستان إبراهيم باشا، وهو مسجد قديم غير معروف تاريخ إنشائه لأول مرة، وقد جددته زوجى الهامى باشا ابن عباس حلمى الأول [2] وهى والدة السيدة أمينة زوجة الخديوى توفيق التى عرفت بأم المحسنين، وبالمسجد المذكور ضريح الشيخ الدرينى الذى توفى فى سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م [3] ويذكر على مبارك أنه لم يدفن به وإنما دفن فى بلدته درين [4].

(١) انظر بالتفصيل: على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١١، محمد كمال السيد، أسماء ومسميات، ص ٤٥٢ ـ ٤٦١.
(٢) على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص.١٤.
(٣) الشعرانى، الطبقات الكبرى (لواقع الأنوار فى طبقات الأخيار)، (طبعة بولاق، ١٢٨٦هـ)، جـ١ ص٢٠٤.
(٤) الخطط التوفيقية، جـ ١١، ص ٧٣.

وفى منتصف هذا القرن قسمت أرض المنيل إلى شوارع وتحولت أراضيها إلى مبانى، وأطول شوارعها حاليا شارع المنيل الذى يخترقها من الجنوب إلى الشمال، بينما يقطعها من الشرق للغرب شارع الروضة الذى يمتد عند كوبرى الملك الصالح إلى كوبرى الجيزة (كوبرى عباس سابقا).

جسور الروضة:

نظرا لما كانت عليه جزيرة الروضة من مكانة بصفتها عروس متنزهات مصر، ونظرا للعمران الدائم لها وكثرة الواردين إليها للتفرج والتنزه، ولما كانت تقع فى وسط النيل وتقابل مدينتى الفسطاط والجيزة لذا فقد حرص الملوك والسلاطين والأمراء على أن ييسروا الطرق إليها واتصالها بالمدينتين المذكورتين، فأقيم بها العديد من الجسور على مر الزمن (لوحة ٧).

وكان يوجد بمصر نوعان من الجسور أولهما الجسور المبنية والأخرى هى الجسور الخشبية، فأما الجسور المبنية فهى قديمة جدا بمصر، وكانت تستخدم على المجارى المائية الضيقة مثل خلجان القاهرة. أما الجسور الخشبية فهى التى أقيمت لربط جزيرة الروضة بضفتى النهر، وأحيانا تربطها بالجزر الأخرى، والجسور الخشبية عبارة عن قوارب مرصوصة بجوار بعضها البعض وموثقة معا بالحبال فيمكن المسير عليها، ويتدفق الماء من تحتها، وكانت أغلب جسور الروضة بتلك الصفة، وأحيانا كان الجسر يفتح ويقفل لعبور المراكب كما كان لها درابزين [١].

وجسر الروضة الذى يربطها بساحل مصر القديمة كان موجودا قبل الفتح الإسلامى لمصر، وقد عبر عليه المقوقس وتبعه عدد من الرومان وكبار القبط ليحتموا بقلعة الروضة أبان الفتح وقطعوه بعد عبورهم، وكان هذا الجسر من المراكب يربط ساحل مصر أمام حصن بابليون بجزيرة الروضة، كما كان يوجد جسر آخر بين الروضة والجيزة وكان عرض كل جسر منهما ثلاث قصبات [٢].

ثم أعيد عمل الجسر مرة أخرى نظرا لما كانت عليه جزيرة الروضة من أهمية، ولما قدم الخليفة العباسى المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م) إلى مصر سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م، أصلح الجسر كما تم عمل جسر آخر جديد يمر الناس فى ذهابهم عليه ويرجعون من على الجسر القديم، ولكن هبت ريح عاصفة بعد ذلك فقطعت الجسر القديم فصدمت سفنه الجسر المحدث فبطل الجسر القديم وأثبت الجديد واستخدم [٣].

---

(١) ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٤، ص ١٨ ـ ١٩.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٣.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٣٣٩، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٣٦، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٣.

واستمر جسر المأمون قائما يستخدمه الناس فى العبور وعن طريقه عبرت الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر الصقلى فى يوم الثلاثاء ١١ شعبان سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، بعد أن عبروا جسر الجيزة [١]، ويبدو أن الجسرين أهملا عقب ذلك لذا ففى أول رجب ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م أمر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بإصلاح جسر الروضة بعد أن ظل معطلا لعدة سنوات، ولكن يبدو أنه خصص للخليفة فقط إذا أن المعز منع الناس من العبور عليه [٢].

وهذا الجسر ذكره «ابن حوقل» المتوفى سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٧م وقال أنه كان يتكون من ثلاثين سفينة [٣].

أما «ناصر خسرو» الذى زار مصر سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م فقال « وثبت بين الجزيرة والمدينة (الفسطاط) جسر من ست وثلاثين سفينة» [٤].

أما الرحالة «الأدريسى» المتوفى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م فيذكر أنه كان يجاز إلى جزيرة الروضة على جسر فيه نحو ثلاثين سفينة ويجاز القسم الثانى وهو أوسع من الأول على جسر آخر وسفنه أكثر من الأول أضعافا مضاعفة وطرف هذا الجسر يتصل بالشط المعروف بالجيزة[٥].

مما ذكر يتضح لنا أن جسر الروضة ظل موجودا طول العصر الفاطمى بين الفسطاط والروضة أما الجسر الذى كان بين الروضة والجيزة فأحيانا يقام وأحيانا يستعاض عنه بالعبور فى المراكب.

وفى سلطنة الكامل محمد الأيوبى (٦١٥ ـ ٦٣٥هـ/ ١٢١٨ ـ ١٢٣٧م) عمل جسر بين جزيرة الروضة إلى الجيزة، وكان مبتدأه من قدام الصناعة المستجدة [٦] وعدة المراكب التى فيه ٥٣ مركبا وتم عمله سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، وقد أباحه السلطان لعبور الناس عليه، وقد أمر السلطان بعمل صيانة دائمة له، وكان فى هذا الجسر مواضع تفتح للمراكب العابرة منه وتعاد إلى حالها بعد عبورها، وقد سر الناس بذلك الجسر سرورا عظيما وساعد على الحركة والتنقل بين الفسطاط والروضة إلى والجيزة، وقد تميز هذا الجسر بعمل درابزين خشبى من الجانبين خشية سقوط أحد فى النيل [٧].

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣ أجزاء، تحقيق جمال الشيال ومحمد حلمى، (نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣) جـ١، ص ٢١٨.

(٣) صورة الأرض، ط ليدن ١٩٣٨م، ص ١٤٦.

(٤) سفر نامه، ص ٦١.

(٥) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (ط ليدن، ١٨٦٤م)، ص ٣٢٣.

(٦) معنى ذلك أن الكامل أقام دار صناعة جديدة غربى جزيرة الروضة.

(٧) ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٤، ص ١٨، ١٩، ١٣٧.

ولما ابتدأ السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى بناء قلعته بالجزيرة سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م وحفره لسيالة الروضة أنشأ فى العالم التالى جسرا ممتدا من بر مصر إلى الروضة وكان رأس هذا الجسر قبلى خط دار النحاس أمام المدرسة الخروبية [١]، وكان هذا الجسر يتكون من واحد وعشرين مركبا وعرضه يسع جملين محملين متقابلين ولا يزدحمان، وكان الأمراء إذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم عند البر ويمشون فى طول هذا الجسر إلى القلعة ولا يمكن لأحد من العبور عليه راكبا سوى السلطان فقط، ولم يكن مسموحا فى ذلك الوقت لمرور الناس عليه لوقوعه فى حيز قلعة السلطان ولذلك كان الناس يعبرون النيل بأنفسهم ودوابهم فى المراكب [٢].

جسور الروضة فى العصرين المملوكى والعثمانى :

لما تولى السلطان عز الدين أيبك حكم مصر (٦٤٨ ـ ٦٥٥هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥٧م)، خرب القلعة الصالحية فأهمل الجسر عند ذلك إلى أن عمره الظاهر بيبرس فى ذى الحجة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م وجدد مراكبه من ساحل مصر إلى الروضة وكذلك جدد الجسر الآخر بين الروضة وبين الجيزة وذلك لعبور جيوشه لقتال الفرنج [٣].

ويبدو أن جسرى الروضة أهملا بعد ذلك وبطل أمرهما من جملة ما بطل فى مصر من الشعائر القديمة واستعيض عنهما فى العبور بالمراكب [٤].

ولم يصلنا أخبار عن اقامة الجسور فى العصر العمثانى فقد ذكر المؤرخ «ابن أبى السرور البكرى» المتوفى سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م أن الجسرين قد دثروا ولم يعمل بدلهما [٥].

---

(١) المدرسة الخروبية أنشأها كبير أسرة الخرابية بدر الدين محمد بن محمد الخروبى التاجر بعد سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م على ساحل مصر قبلى خط دار النحاس. انظر: ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ٩٩، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، ٣٦٩. وقد ذكر المرحوم محمد رمزى أن هذه المدرسة عرفت باسم جامع القبوة لأنه كان معلقا على قبو فى مدخل شارع القبوة الحالى بمصر القديمة، وقد زال هذا الجامع ولم يبق من آثاره إلا أحد حائطى القبو على يمين الداخل فى شارع القبو. انظر: تعليقه على النجوم الزاهرة، جـ٥، ص ١٧٢. وأقول أنه الآن زالت هذه البقايا وقد كانت موقعة برقم ٥٣٢ على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية (لوحة ٢ مربع ١٣ أ) برأس شارع القبوة بمصر القديمة.

(٢) ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٤، ص ١١١، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، السلوك، جـ١، ص ٣٤١، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٣، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧١.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٧، ١٤٩، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٣.

(٤) ابن ظهيره، الفضائل الباهرة، ص ٢٠٢.

(٥) قطف الأزهار فى الخطط والآثار، مخطوط بدار الكتب، رقم ٤٥٧ جغرافيا، ورقة ١٦٠.

وفى زمن الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣ ـ ١٢١٦ هـ/ ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م) أقام الفرنسيون جسرا فى شوال سنة ١٢١٣هـ/ ١٢٩٨م من مراكب مصطفة من بر مصر يقع شمالى القصر العينى بقليل إلى الروضة تسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم ، (لوحة ٧) كما عملوا جسرا ثانيا كبيرا من الروضة إلى الجيزة فى موضع الجسر القديم، ولكنهم لم يقيموا جسرا مواجها له فى موضع الجسر القديم بين ساحل مصر من أمام المدرسة الخروبية إلى الروضة [١].

ولكن ذلك الجسر الذى بين الروضة والجيزة لم يستمر سوى ثلاث سنوات، إذ ذكر «الجبرتى» أنه فى جمادى الآخرة سنة ١٢١٦/ ١٨٠١م قد تفكك الجسر المنصوب بين الروضة والجيزة وذلك من شدة الماء وتحللت رباطاته وانتزعت مراسيه وانتشرت أخشابه وتفرقت سفنه وانحدرت إلى بحرى [٢].

ويتأكد لنا من خلال ما يذكره «الجبرتى» عن عدم وجود الجسر الذى كان دائما موجودا بجنوب جزيرة الروضة بينها وبين مصر بجوار موقع المدرسة الخروبية إذ يذكر أن إبراهيم باشا بن محمد على عندما وصل إلى مصر فى شهر صفر سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م بعد انتصاراته على الوهابيين أقام بقصر شريف بك بالروضة بشاطئ النيل تجاه الجيزة وعند وصوله عملوا له جسرا من الروضة إلى ساحل مصر القديمة على مراكب من البر إلى البر وردموه بالأتربة من فوق الأخشاب [٣].

أما الكبارى الحديثة على نيل القاهرة فقد عرفت أيام الخديو إسماعيل باشا (١٢٨٠ ـ ١٢٩٧هـ/ ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩م) الذى أنشأ (كوبرى) قصر النيل وهو أقدم كوبى أنشىء فى العصر الحديث ليصل البر الشرقى بجزيرة الزمالك، وقد نفذته شركة فرنسية ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، أما كوبرى الجلاء (كوبرى الإنجليز سابقا) المواجه له الذى يصل بين الجزيرة والدقى فقد أقامته شركة إنجليزية سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م.

أما كبارى الروضة وهما كوبرى الملك الصالح وكوبرى الجيزة فقد أنشأهما الخديوى عباس حلمى الثانى (١٣١٠ ـ ١٣٣٣ هـ/ ١٨٩٢ ـ ١٩١٤م) وذلك فى سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م [٤].

---

(١) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٢٦٧، جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٣٣٤.

(٢) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٤٩٩.

(٣) نفس المصدر، جـ٣، ص ٦٠٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن الكبارى الحديثة، انظر: عبد الرحمن زكى، موسوعة مدينة القاهرة، ص ٢٣٦، فؤاد فرج، القاهرة (٣ أجزاء، ط دار المعارف، ١٩٤٦) جـ٢، ص ٣٨٨، محمد كمال السيد، أسماء ومسميات، ص ٤٩٩ ـ ٤٥٠.

ثالثا : الجزيرة الوسطى (جزيرة الزمالك)

كانت الجزيرة الوسطى من أجمل متنزهات مصر فى العصرين المملوكى والعثمانى وقد تكونت هذه الجزيرة وظهرت للوجود نتيجة اتصال جزيرتين هما جزيرة أروى جنوبا وجزيرة حليمة شمالا(شكل ٢٠).

وقد قال «المقريزى» عن موقع جزيرة أروى واسمها «هذه الجزيرة تعرف بالجزيرة الوسطى لأنها فيما بين الروضة وبولاق وفيما بين بر القاهرة وبر الجيزة لم ينحسر عنها الماء إلا بعد سنة سبعمائة »(١).

وعن تعميرها قال « . . وبنى الناس فيها الدور الجليلة والأسواق والجامع والطاحون والفرن، وغرسوا فيها البساتين وحفروا الآبار وصارت من أحسن متنزهات مصر، يجف بها الماء ثم ينكشف ما بينها وبين بر القاهرة فإذا كانت زيادة النيل أحاط الماء بها وفى بعض السنين يركبها الماء فتمر المراكب بين دورها وفى أزقتها»(٢).

وقد تأثرت مساكن هذه الجزيرة بالأحداث التى بدأت سنة ٨٠٦هـ والتى نتجت عن نقص النيل، وأعقبها فتن كثيرة، ولكن المقريزى قال « . . . وفيها إلى اليوم بقايا حسنة »(٣).

أما عن جزيرة حليمة فقال «المقريزى» عن موقعها وتاريخها « هذه الجزيرة خرجت فى سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م ما بين بولاق والجزيرة الوسطى سمتها العامة حليمة(٤). وقد صارت الجزيرة متنزهًا عظيمًا نصب فيها الناس الأخصاص (العشش) وزرعوا ما حول هذه الأخصاص بالزهور والرياحين والمقاثى (البطيخ والشمام والخيار والقثاء. . الخ) واتجه أرباب الخلاعة والمجون إليها وتهتكوا بأنواع المحرمات فارتفعت قيمة الأرض بها(٥).

وذكر «المقريزى» كثرة المتنزهين بالجزيرة فقال « . . . وتردد إلى هذه الجزيرة أكثر الناس حتى كادت القاهرة أن لا يثبت بها أحد »(٦).

وقد اتصلت الجزيرتان « أروى وحليمة» بواسطة طرح النيل وصارتا جزيرة واحدة هى الجزيرة الوسطى التى يعرف الجزء الجنوبى منها الآن باسم الجزيرة، والجزء الشمالى باسم

---

(١) الخطط، جـ٢، ص ١٨٦. (٢) نفسه. (٣) نفسه.

(٤) نفسه. ذكر الباحث «سامى نوار» أن جزيرة حليمة نشأت سنة ٧٤٩هـ نتيجة حفر منجك خليج موردة الحلفا من رأس موردة الحلفا تحت الدور إلى بولاق انظر: المنشآت المائية، ص ١٧٧، ولكن هذا يناقض كلام المقريزى وغيره من المؤرخين الذين ذكروا أن جزيرة حليمة ظهرت سنة ٧٤٧هـ أى قبل حفر منجك لخليج موردة الحلفا بسنتين، ثانيا كان موقع جزيرة حليمة شمال الجزيرة الوسطى أى ما بين بولاق والجزيرة الوسطى بينما خليج موردة الحلفا كان يبدأ من مصر القديمة أمام جزيرة الروضة وتسير بقيته موازية للجزيرة الوسطى.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص١٨٦، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢٩.

(٦) الخطط، جـ٢، ص ١٨٦.

الزمالك ، ويبدو أن هذا الاندماج قد حدث فى العصر العثمانى فى نفس الوقت الذى اندمجت فيه جزيرتا الذهب والصابونى [١] .

وهذه الجزيرة طولية الشكل وهى من جزر غرب المجرى وتتبع من الناحية الادارية قسم قصر النيل بمحافظة القاهرة وتبلغ مساحتها خمسمائة وخمسة عشر فدانا [٢] .

ويتضح من خريطة الحملة الفرنسية أن الجزيرة وقعت عليها باسم جزيرة بولاق الكبيرة أو جزيرة القرطية (نسبة إلى القرط وهو البرسيم الذى كان يزرع لها) . وبالشمال منها جزيرة صغيرة تسمى جزيرة عازر ، أما فى الجنوب منها فتقع فى جزيرة صغيرة أيضا تسمى جزيرة مصطفى أغا ، ثم اتصلت تلك الجزر بعضها ببعض فيما بعد وعرفت باسم الجزيرة الكبيرة أو جزيرة بولاق لمواجهتها لبولاق أو الجزيرة الوسطى ثم عم عليها أخيرا اسم جزيرة الزمالك .

وقد تعرضت مساحة وشكل الجزيرة للتغيير الذى ترتب على تحويل مجرى النيل سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م ليكون الفرع الرئيسى له هو الفرع الشرقى بدلا من الغربى وذلك لأن النيل تسلط حينئذ على الجزء الجنوبى من الجزيرة الذى كان قريب الاتصال بجزيرة الروضة أيام التحاريق وكذلك على الساحل الشرقى منها تجاه بولاق وأخذ منها جزءا ، ونتج عن تحويل المجرى اتساع النيل تحت بولاق واستمرار وجود الماء تحتها طول أيام السنة ، والأرض التى أكلها البحر من الجزيرة نقلها إلى الجهة الشمالية منها [٣] وقد كانت الجزيرة قبل ذلك المشروع تبدو وكأنها متصلة بالضفة الغربية للنيل ، ومنذ ذلك الإصلاح أصبح الساحل الغربى للجزيرة أكثر استقامة نتيجة إقامة التكسيات الحجرية التى تحميه [٤] .

العمران بالجزيرة :

بالرغم من أن الجزيرة غلب عليها النشاط الزراعى فى أغلب تاريخها إلا أنها حفلت فى بعض فترات العصر المملوكى بالنشاط المعمارى ، ويتضح الحرص على العمران بها منذ ظهورها أن الطواشى مثقال خادم تذكار ابنة الملك الظاهر بيبرس أنشأ جامعا بها ذكر المقريزى أنه عامر إلى أيامه (توفى المقريزى سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) [٥] .

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٦٤ .

(٢) تقرير من وزارة الأشغال ، سعاد جمال الدين ، الجزر النيلية ، ص ٧١ ، ٣٨٢ ، بينما ذكر الباحث عبد القادر عبد العزيز فى رسالته «استخدام الأرض فى الجزر النيلية» ص ٢٨ أن مساحة الجزيرة ٦٠٧ فدان .

(٣) محمد رمزى ، الجغرافيا التاريخية لمدينة القاهرة ، ص ٥٢٢ .

(٤) سعاد جمال الدين ، الجزر النيلية ، ص ٣٨٦ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٢٥ ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٥ ، ص٤٥ ، وقد حقق المرحوم الأستاذ محمد رمزى موقع هذا الجامع فذكر أنه هو المجدد حتى الآن والذى يعرف حاليا بجامع الجزيرة فى حديقة النهر «أسفل كوبرى ٦ أكتوبر حاليا» . انظر : تعليقه على النجوم ، جـ٩ ، ص ٢٠٦ .

ومما يدل على كثرة العمارة بالجزيرة فى العصر المملوكى أن السلطان إينال (٨٥٧ ـ ٨٦٥ هـ/ ١٤٥٣ ـ ١٤٦١م) أمر فى يوم ١٣ جمادى الأولى سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م، بالمناداة بأن أحدا من الناس لا يعمر عمارة بجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى ولا بساحل بولاق لما رأى من ضيق الطريق من كثرة العمائر والأخصاص وأمر أيضا بهدم أماكن كثيرة فهدمت فى اليوم المذكور» (١).

ولكن التعمير ظل قائما بالجزيرة بقية العصر المملوكى (٢)، وكان للسلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى حمام كبير بالجزيرة (٣).

وكانت الجزيرة على أحسن ما تكون من الحركة والنشاط بها فى أيام فيضان النيل، ولكن أحيانا ما يطغى الفيضان عليها فتغرق بيوتها وأخصاصها وزراعاتها فتهجر حينئذ، بالإضافة إلى عوامل أخرى تؤثر سلبيا على الجزيرة مثل الاضطرابات والصراعات السياسية والعسكرية التى تكون الجزيرة مسرحا لها، فعلى سبيل المثال ذكر «ابن إياس» أن من العجائب أنه فى شعبان ٩٢١ هـ أن مع وجود علو النيل وثباته لم يسكن فى الجزيرة الوسطى ولا بيت واحد ولم يفتح فيها دكان ولم يعمل بها مقصف للمتفرجين، ولم يعلم ما سبب ذلك ولكن أشاعوا أنه سكن الجزيرة عدة مناخات لابن السلطان (الغورى) والأمراء فخشى الناس أن يسكنوا الجزيرة من النفر الذى هناك، فهذا كان السبب فى منع الناس من سكن الجزيرة» (٤).

ويبدو أن سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م كانت بداية النهاية للتطور العمرانى للجزيرة ذلك أن السلطان الغورى أمر بسد خليج الزريبة بجسر عند قنطرة موردة الجبس (٥) مما أثر على الحركة إلى الجزيرة.

وكانت الطامة الكبرى للجزيرة فى أثناء الغزو العثمانى لمصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م فقد تعرضت للخراب التام وتلاشى أمرها يومئذ وخلت بيوتها من السكان وقد كانت من أجل مقترحات مصر فقد نزلت العساكر العثمانية فى بر الجزيرة على رملة البحر وصاروا يخربون بيوتها حتى لم يبق بها إلا الجدر وقد نقل أصحاب الأملاك السقوف والأبواب والطيقان فخربت بالكلية من يومئذ وانقطع الرجاء من عمارتها ثانيا (٦).

وكان من جراء ما سبق أن ساد النشاط الزراعى فى الجزيرة فى العصر العثمانى فعمرت بالبساتين والحقول.

---

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص ١١٨.
(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ٢٧٠.
(٣) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.
(٤) بدائع الزهور، جـ٤، ص ٤٧٣، ٤٧٨. (٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ١٩٦، ٢٧٠.

وفى القرن ١٢هـ/ ١٨م أقام العديد من الأمراء البساتين والقصور مثل الأمير عثمان كتخدا القاردوغلى [١] والأمير عبدالرحمن كتخدا الذى اقام بستانا على مساحة سبعة أفدنة وقصرا على مساحة فدانين ونصف [٢].

وقد رسمت الجزيرة فى خرائط الحملة الفرنسية كحقول وبساتين ، وقد اهتم الفرنسيون بها وجعلوا الجزيرة الصغيرة المسماة جزيرة عازر المواجهة لامبابة محجرا صحيا إلا أنه لم يستمر بعد ذلك [٣].

وقد بدأت العمارة تعود مرة أخرى للجزيرة أيام محمد على الذى أنشأ بها فى سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م قصرا بين المزراع فى الجهة الشمالية منها وقد اتخذه للنزهة، وكان بالقرب من هذا القصر زمالك (عشش) يصطاف فيها رجال حاشيته وعساكر حرسه فعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم الزمالك، كما بدأت القصور الفخمة تعرف طريقها للجزيرة وأصبحت من أرقى الأحياء بمصر بما أنشىء بها من القصور ذات البساتين والعمارات الفاخرة والحدائق الكبيرة والأندية الرياضية والاجتماعية والفنادق والمعارض والقصور الثقافية ، وصارت الجزيرة مقر السكنى الأول للطبقة الارستقراطية فى مصر فى عصرها الحديث.

صناعة السفن بالجزيرة:

نظرا لاهتمام دولة المماليك فى بعض فتراتها بالبحرية والأسطول لذا فقد شهدت الجزيرة الوسطى نشاطا بحريا كبيرا فازدهرت بها صناعة السفن والمراكب وخصوصا الحربية منها مثل مراكب الأغربة والشوانى والطرايد[٤]، وكانت أيام صناعتها وتدشينها من أبهج وأنزه أيام مصر، وكان الناس يأتون إلى الجزيرة من جميع أنحاء القاهرة للفرجة عليها وهى ذاهبة للغزو أو لعمل المناورات والتدريبات البحرية.

ومن أمثلة ذلك تلك الشوانى الحربية وعدتها مائة مركب ما بين غربان وطرايد والتى صنعت سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م لتقوم بحملة على جزيرة قبرص وغيرها من البلاد الأوربية ردا على الغزو البحرى من الفرنج الذى تعرضت له مدينة الاسكندرية فى السنة السابقة [٥].

---

(١) كتاب وقف عمثان كتخدا رقم ٢٢١٥ أوقاف، ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) كتاب وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف. وقد ورد فى وثائق وكتب وقف الأمير عبد الرحمن كتخدا أن الأرض التى أقام عليها البستان والقصر كانت جارية فى وقف الأمير يشبك بن مهدى الدوادار وحتى تاريخ كتاب الوقف أى سنة ١١٥٧هـ كان يجاور بستان وقصر عبد الرحمن كتخدا أرض جارية فى أوقاف أولاد السلطان بيبرس وكذلك أرض فى وقف الأمير أزبك الاتابكى، وكان يجاور بستان عبد الرحمن كتخدا أرض زراعية جارية فى وقف السلطان مراد خان والأمير إسماعيل بك وغير ذلك.

(٣) جومار، وصف مدينة القاهرة. ص ٣٤٢.

(٤) عن هذه السفن، انظر: سعاد ماهر، البحرية فى مصر الإسلامية، ص ٣٥٢ـ٣٥٩.

(٥) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ١١٣، ١٢٩، ١٣٠، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٢٧، ٢٨، ٤٤، ٤٥، ٤٦.

وكذلك تم فى أيام السلطان اينال (٨٥٧ ـ ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ ـ ١٤٦١م) عمارة مراكب أغربة بالجزيرة الوسطى وذلك القيام بحملة على جزيرة قبرص، وقد أقيمت إحتفالات كبيرة بتلك المناسبة [١].

وظلت السفن تعمل بالجزيرة بعد سقوط دولة المماليك وتبعية مصر لسيادة الدولة العثمانية فقد ذكر «ابن إياس» أنه فى رجب سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م توجه ملك الأمراء (خاير بك) إلى الجزيرة الوسطى وسبب ذلك أن الأمير تنم الناظر على وقف الدشيشة [٢] التى ترسل إلى الحرمين الشريفين كان قد صنع هناك مركبا كبيرا لحمل الدشيشة وكان طولها مائة وعشرين ذراعا وبها فرن وطاحون وصهريج للماء الحلو ومقعدو مبيت واسطبل للخيل فعرضها على ملك الأمراء ثم فك أخشابها وأرسلها على ظهور الجمال إلى الطور ومن هناك يرسلها إلى البحر المالح [٣].

رابعا: جزيرة الوراق

كانت جزيرة الوراق منتزهًا كبيرًا فى بداية العصر المملوكى لأنه كان يحتفل بربوعها إلى جانب النيل وشبرا المواجهة لها بعيد الشهيد الذى كان يمثل مهرجانا شعبيا آنذاك [٤].

وجزيرة الوراق ذات شكل بيضاوى تقع فى وسط مجرى النيل وتتبع من الناحية الإدارية مركز امبابة محافظة الجيزة.

وهذه الجزيرة من أكبر الجزر النيلية إذ تبلغ مساحتها ١٥٤٠ فدانا [٥]، وتدل حالتها على أنها مقتطعة من رأس الدلتا [٦].

وجزيرة الوراق من النواحى القديمة واسمها الأصلى جزيرة الأسل وكانت من الأعمال الجيزية [٧]. وقد عرفت بجزيرة الوراق نسبة لمواجهتها لناحية الوراق التى بالبر الغربى للنيل.

والنشاط الغالب على هذه الجزيرة الآن النشاط الزراعى فقط.

---

(١) ابن إياس، نفس المصدر، جـ٢، ص ٣٦٢.
(٢) الدشيشة هى القمح المجروس أى الذى يطحن غليظا.
(٣) بدائع الزهور، جـ٥، ص ٣٩٩.
(٤) عن هذا العيد بالتفصيل انظر ما يلى، ص ٥١٥.
(٥) عبد القادر عبد العزيز، استخدام الأرض فى الجزر النيلية، ص ٢٩.
(٦) نفسه، إبراهيم زرقانه، قمة دلتا النيل وتغير مواضعها منذ أقدم العصور البشرية حتى الوقت الحاضر، مجلة آداب الاسكندرية، المجلد الرابع، ١٩٤٨م، ص ٢٩.
(٧) ابن الجيعان، التحفة السنية، ص ١٤٣.

obeikandl.com